الأربعون حديثاً في الدعوة والدعاة

جمعها و بوبها

و

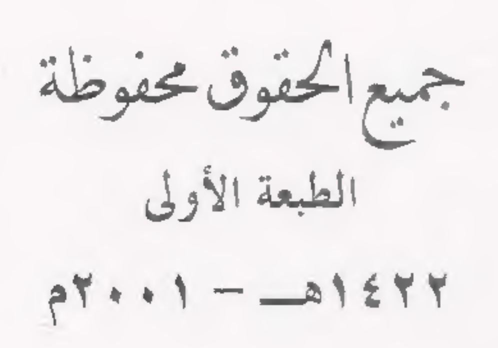
خرجها و علق عليها

علي حسن علي عبد الحميد الحلبي الأثري

دار ابن عفان   دار ابن القيم

الأربعون حديثاً

في الدعوة والدعاة



الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع	٢٠٠١/١٣٠٣٦
الترقيم الدولى	I.S.B.N. 977-6052-13-4

دار ابن عفان

للنشر والتوزيع

الجيزة - ت: ٣٢٥٥٨٢٠ - ص ب: ٨ بين السرايات

القاهرة - ١١ ش درب الأتراك - الأزهر - خلف الجامع الأزهر

هاتف محمول: ٥٨٣٦٢٦٠١٠١٠

جمهورية مصر العربية

E-mail:ebnaffan@hotmail.com

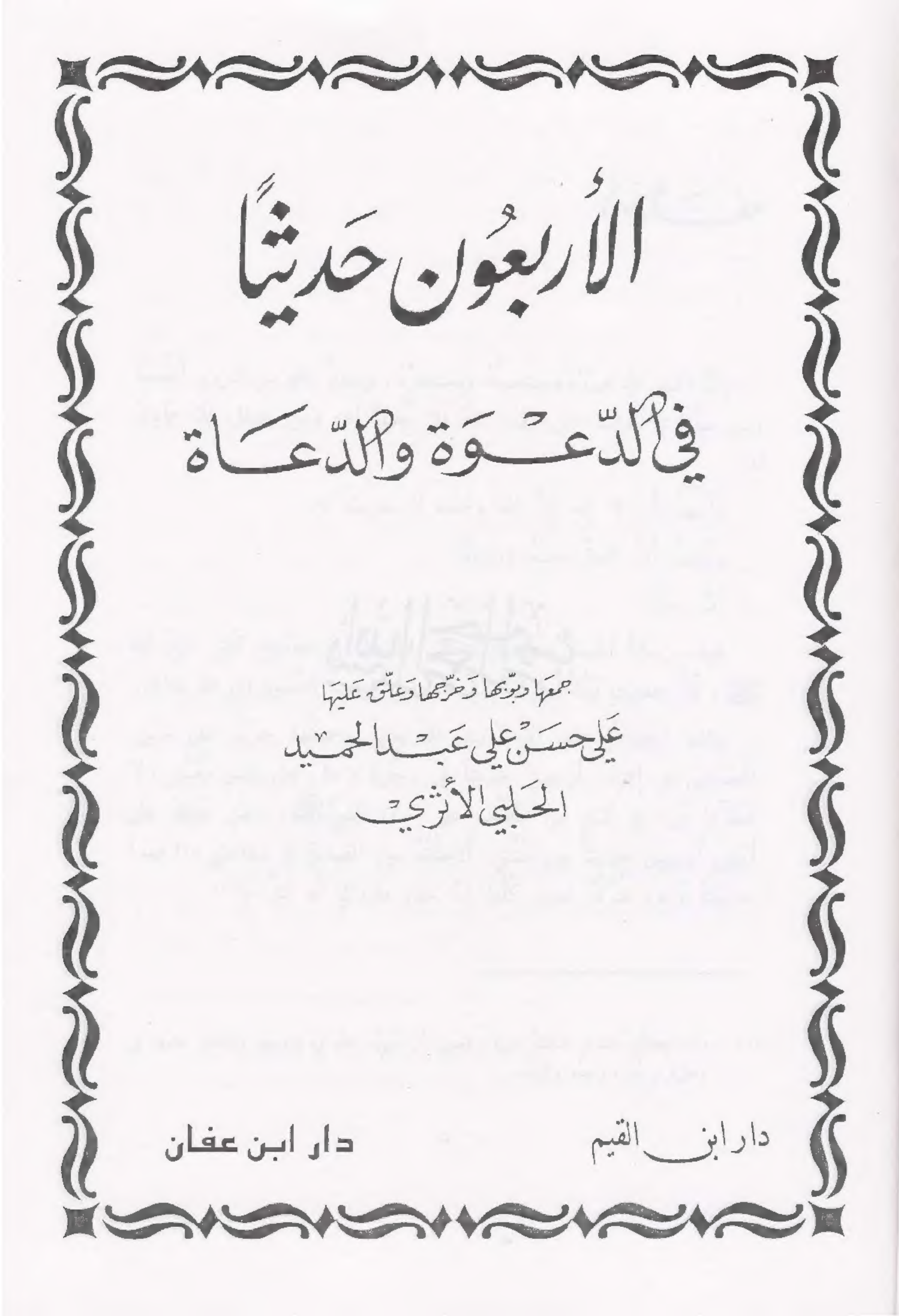


دار ابن القيم للنشر والتوزيع

هاتف: ٨٢٧٤٥٤٥ - فاكس: ٨٠٥٦٥٥٤

الدمام - مدينة العمال - ص ب: ٢٠٧٤٥

الرمز البريدي: ٣١٩٥١ بريد الخبر



الأربعون حديثاً

في الدعوة والدعاة

جمعها وبوّبها وخرّجها وعلّق عليها

علي حسن علي عبد الحميد
الحلبي الأثري

دار ابن القيم		دار ابن عفان


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللهِ مِن شرورِ أنفُسِنَا ومِن سَيِّئَات أعمالِنا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَه، وَمَن يُضلل فَلا هَادِيَ لَه.

وَأشهدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهَ وحده لا شريكَ له.

وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ.

أَمَّا بعدُ:

فهذه رسالةٌ لَطِيفةٌ ضَمَّنْتُها أَربعين حديثاً من جوامعِ كَلِمِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، كُلُّ حديثٍ يَدُلُّ على قاعِدَةٍ هَامَّةٍ مِن قَواعِدِ الدَّعوةِ إِلى الله تعالى.

ولقد اخترتُ هذه الأحاديثَ الأربعين وجمعتُها جَرْياً على سَنَنِ المُحَدِّثين في إفرادِ أربعينَ حديثاً في «جُزءٍ» ما، على نَسقٍ مُعَيَّنٍ، لا عَمَلاً بما وَرَد في كثيرٍ مِن الكُتُب على لسانِ النبيِّ ﷺ: «**مَن حَفِظَ على أُمَّتِي أَربعينَ حديثاً مِن سُنَّتِي، أَدخلْتُهُ يومَ القيامةِ في شفاعتي**»!! فهذا حديثٌ واهٍ، طُرُقُهُ تدورُ كُلُّها إِمَّا على متروكٍ أو كذَّابٍ[1]!.

---

(١) وقد تَحصَّل عندي الكثيرُ منها، فعسى أن يُهَيِّءَ اللهُ لي ترتيبَها والكلامَ عليها في «جُزءٍ» مُفْرَد، بمَنِّهِ وكَرَمِهِ.

وهذه الأحاديثُ الأربعون تُبَيِّنُ - على وَجْهِ الاختصارِ - منهجَ النبيِّ ﷺ في الدعوةِ الى اللهِ تعالى، وأنَّه منهجٌ مُحْكَمٌ متينٌ، لا مجالَ فيه للآراءِ الشخصيّة، أو التجارب الذاتيّة، أو النَّزَعات النفسيّة!.

ومِن أكبرِ الدوافعِ التي جعلتني أُصنِّفُ هذه الرسالة الوجيزةَ: غَفْلَةُ كثيرٍ مِن المُتَصَدِّرين للدعوةِ عن هَدْيِ النَّبي ﷺ فيها، فتراهم يستحسنون أشياءَ عِدَّة، فيها مخالفةٌ صريحةٌ للهديِ النبويِّ الصحيحِ.

وهذا كُلُّه مِصداقُ قولِهِ صلى الله عليه وسلم: «**قد تركتُكم على البيضاءِ، ليلِها كنهارِها، لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالكٌ..**»(١).

«فَمَنْ أَخَذَ في مثل هذه المَحَجَّةِ، وداوَم بهذه الحُجَجِ على منهاجِ الشريعةِ، أَمِنَ في دينِه التَّبِعَةَ في العاجِلَةِ والآجِلَةِ، وتمسَّك بالعُروةِ الوثقى التي لا انْفِصَامَ لها، واتَّقى بالجُنَّةِ الَّتِي يُتَّقى بمثلها، لِيَتَحَصَّنَ بحمايتها، ويستعجل بركَتَها، ويحمدَ عاقِبتها في المعاد والمآلِ إن شاء الله»(٢).

ولقد حَرَصْتُ في إيرادي هذه الأحاديثَ على تَخْرِيجِها تخريجاً علمياً على نَهْجِ طريقةِ أهل الحديثِ، ووِفْقَ سبيلِهم السويِّ المتين في دراسةِ الأسانيد والحُكم عليها بما تقتضيهِ الصِّناعةُ الحديثيةُ، مُراعياً في ذلك الاختصارَ وعدمَ التطويل.

وأمَّا متونُ الأحاديثِ فقد جَهَدْتُ في انتقائِها، وتأنَّيْتُ في تبويبها، ولم أَكتب مِن كلامي إلاَّ ما لا بُدَّ منه لِرَبْطِ الأحاديثِ كسلسلةٍ مُتَّصِلةِ الحَلَقاتِ، لا تنفصم إحداها عن الأخرى.

---

(١) سيأتي (برقم: ٦) في هذا الكتاب، وتخريجه هناك.
(٢) مِن مقدمة الإمام اللالكائيّ لكتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/١٠).

وليس بِخافٍ أَنَّ هٰذه الأحاديثَ الأربعين لو أُخِذتْ بالشرح والتفصيل، والبيان والتطويل، لوَقَعَ كتابُنا هذا في سُجَلَّدةٍ لَطيفةٍ، ولعلّ ذلك كائنٌ – إنْ قَدَّر اللهُ – فيما نستبقلُ من الزمانِ، إنْ كان في العُمْرِ فُسْحَةٌ، وفي الوَقْتِ سَعَةٌ.

وأخيراً:

أُكَرِّرُ قائِلاً: لم أُرِدْ مِن كَتْبِي هذه الرسالةَ إلاَّ الدَّلالةَ على الحقِّ، والهدايةَ إلى الرُّشْدِ، وهٰذان: يكفي فيها الاختصار!.

فالله أسأَلُ أَن يُوَفِّقَني فيما قَصَدْت، وأَنْ يُجَنِّبَني الفِتَن، ما ظَهَر منها وما بَطَن، إنه سميعٌ مجيبٌ.

وآخِر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِين.

كتبه

علي حسن علي عبد الحميد
الحلبي الأثري

الزرقاء: في
١١ رجب ١٤٠٨هـ
٢٨ شباط ١٩٨٨م.

الحديث الأول:

اساس الاعمال

عن عُمَر بن الخطَّاب قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«إِنَّما الأَعمالُ بِالنِّيَّاتِ، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى، فمن كانَتْ هجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ، فهجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ، ومَن كانت هجرتُهُ إلى دُنيا يُصِيبُها، أو إلى امْرَأةٍ يَنْكِحُها فَهجْرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إليهِ».

رواه البخاريُّ (١) و (٥٤) ومسلم (١٩٠٧).

---

* * * *

وهٰذا الحديثُ قاعدةٌ هامَّةٌ مِن قواعدِ الدينِ، فالنِّيَّةُ أَساسُ الأعمالِ، حتى قال أبو عُبَيد: «ليس في أخبار النَّبيِّ ﷺ أجمعُ واغنى وأكثر فائِدةً مِن هذا الحديثُ»[١]، وقال عبدُ الرحمٰن بن مَهْدي: «مَن أراد أن يُصَنِّفَ كتاباً فَلْيَبْدأْ بهذا الحديث»[٢].

---

(١) «منتهى الآمال» (ص ٤٢) للسيوطي.

(٢) «المرجع السابق» (ص ٤٣).

فالواجِبُ على الداعِيَةِ أن يُحَسِّن نِيَّتَهُ حتى يرى الأُمورَ كُلَّها على حقيقتِها دون أيِّ زُيُوف، فإذا اطْمَأَنَّ قَلْبُه بذلك سَهُل عليه أن يعرف واقع الأُمَّة اليوم، وما يُعانيهِ النَّاسُ مِن: ذل المسلمين.

الحديث الثاني:

ذل المسلمين

عَن ابن عُمَر قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«إِذا تَبَايَعْتُم بالعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُم بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُم الجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عليكُم ذُلاً لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إلى دينكم».

رواه أبو داود (٣٤٦٢) والبيهقي (٣١٦/٥) والدولابي في «الكنى» (٦٥/٢) من طريق حيوة بن شُريح، عن أبي عبد الرّحمٰن الخُراساني عن عطاء أنه أخبره أنَّ نافعاً حدَّثه عن ابن عمر، وذكره.

قلت: وسنده ضعيفٌ، وفيه علّتان:

الأولى: أبو عبد الرحمٰن الخُراساني واسمه إسحاق بن أَسيد، وهو ضعيفٌ.

الثانية: عطاءٌ، وهو ابن أبي مُسلم الخُراساني، قال عنه الحافظ ابن حجر: «صدوق يهم كثيراً، ويُرسل ويُدلّس» ولكننا أَمِنَّا تدليسه هنا لأنّه صرّح بالتحديث كما هو ظاهر!.

وللحديثِ طريقٌ أُخرى:

فأخرجه أحمد (٤٨٢٥) وأبو أُميَّة الطَّرسوسي في «مسند ابن عمر» (رقم: ٢٢) من طريقين عن أبي بكر بن عياش، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر.

قلتُ: وهذا سَنَدٌ حَسَنٌ لولا ما قيل مِن عَدَم سَمَاع عطاء من ابن عُمر، كما قال أحمد ونقله عنه ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص١٥٤) والحافظ في «التهذيب» (٢٠٣/٧).

وصحّح سندَه العلاّمةُ أحمد شاكر! وكأنّه غفل عن هذه العلّة!!.

ومَعَ هذا فإنَّه يتقوّى ويصيرُ حَسَناً بما قَبلَه، وبخاصّة أَنَّ له طرقاً أُخرى نُشير إليها سريعاً لِتُنْظَرَ، في: «معجم الطبراني الكبير» (١٣٥٨٣) و(١٣٥٨٥) و«مسند أبي يعلى» (٥٦٥٩) و«تصحيفات المحدثين» (١٩٦/١) و«مسند أحمد» (٤٤/٢ و ٨٤) و«الكامل» (٤٥٥/٢) و(١٩٩٨/٥) لابن عديٍّ، وغيرها.

ولولا حِرصي على الاختصار لخرّجتُها جميعاً، ولعلّي أفعلُ في مُناسَبةٍ أُخرى إن شاء الله.

---

* * * *

وما أشار إليه الحديثُ مِن واقع الأُمّةِ «شيءٌ مُشاهَدٌ ظَهَرتْ آثارُهُ في المسلمين، حين صاروا عَبِيدَ الأرض والزَّرع، بل هو ظاهِرٌ في كل أُمّةٍ استعبدَتْها الأرضُ، وقَصَرَتْ نفسَها على الزرع، والجهادُ هو ملاكُ الأمرِ كلِّه في الإسلام رَضِيَ عَبِيدُ أوروبا أم أَبَوْا»[1]، وهذا الذلُّ الذي تعيشُهُ الأُمّةُ ولَّدَ أَمْراً عظيماً يبوءُ أَهْلُهُ بالخُسران إنْ لم يفيقوا من سُباتهم ويستيقظوا مِن غفلتهم، أَلاَ وهو: الإختلاف.

---

(١) من تعليق الشيخ أحمد شاكر على «المسند» (رقم: ٤٨٢٥).

الحديث الثالث:

الاختلاف

عن عبد اللهِ بن مَسْعُودٍ قال:

خَطَّ لَنَا رسولُ اللهِ ﷺ خَطّاً ثم قال: «هذا سَبِيلُ اللهِ»، ثم خَطَّ خُطوطاً عن يَمِينِهِ وَعَنْ شِمالِهِ، ثم قال:

«هٰذه سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، على كُلِّ سَبِيلٍ منها شَيْطَانٌ يَدْعو إليه».

ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [سورة الأنعام: آية ١٥٣].

رواه الطيالسي (٢٤٤) وأحمد (١/ ٤٣٥، ٤٦٥) عنه بسَنَدٍ حَسَن مِن أجل عاصم بن بَهْدَلة. فيه كلامٌ خفيف.

وقد تكلّمت عن الحديث بتفصيلٍ في كِتابنا «الْجُنَّة في تخريج السُّنَّة» (رقم: ٥، ٦) لابن نَصْر المَرْوَزيِّ.

---

* * * *

وهذا الحديثُ يوضحُ لنا قَضيَّةً مُهِمَّةً جِدّاً ينبغي تأمُّلها وتدَبُّرُها وهي قضيّةُ اختلافِ الأُمّة في معرفة الصِّراطِ النبويِّ المستقيمِ. وهذا الاختلافُ أدّى إلى: تفرق الأمة.

الحديث الرابع:

تفرق الأمة

عن أَنَسِ بنِ مالكٍ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«تَفْتَرِقُ هذه الأُمَّةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فِرقةً، كلُّهم في النَّار إلاَّ واحِدَةً» قالوا: وما هي تِلْكَ الفِرْقَةُ؟ قال:

«ما أنا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي».

رواه الطَّبَراني في «المعجم الصَّغير» (رقم: ٧٢٤) وبحشل في «تاريخ واسط» (ص١٩٦) وعنه العُقَيْليُّ في «الضُّعفاء» (٢٦٢/٢) من طريق عبد الله بن سفيان الواسطي، عن يحيى بن سعيد عن أنس.

وهٰذا إسنادٌ ضعيفٌ مِن أجل هذا الواسِطيّ، فقد قال العُقَيلي: «لا يُتابع على حديثِه».

وأورده الهيثميُّ في «المجمع» (١٨٩/١) وقال بعد عزوه للطبراني في «الصغير» وقال عن الواسطي: «وذكره ابنُ حِبَّان في الثقات».

وللحديث طريقٌ أُخرى يُقوِّيه:

أخرجه الترمذي (٢٦٤١) والحاكم (١٢٨/١) من طريق عبد الرحمن الافريقي، عبد الله بن يزيد عن ابن عَمْرو.

وفيه ضَعْفٌ مِن قِبَل الإفريقيّ.

وقد خَرَّجتُه مفصلاً في تعليقي على «الأربعين الآجُرّية» (رقم: ١٣) فلينظر.

والخلاصة أنّ الحديثَ حَسَنٌ بطريقيه.

وله طريقٌ ثالثٌ لكنه ضعيفٌ جداً تكلّمتُ عليه هناك.

---

* * * *

والتفرُّقُ المشارُ إليه في هذا الحديثِ حقيقةٌ واقعةٌ، لا يُنكرها أعمى، ولا يجحدها مُسْتكْبر، وفي الحديثِ نفسِه إشارةٌ إلى حَلٍّ مُشكلةِ هذا التفرُّقِ، وذلك بالتمسُّكِ بما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُه.

ولكن: ما السبيل؟.

الحديث الخامس:

ما السبيل؟

عَن حُذَيفةَ بنِ اليَمَانِ قال:

كانَ النَّاسُ يَسْأَلونَ رَسولَ اللهِ ﷺ عن الخَيرِ، وكنتُ أسأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مخافَةَ أَنْ يُدْرِكَني، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّا كُنَّا في جَاهليّةٍ وَشَرٍّ، فجاءَنا اللهُ بِهذا الخَيْرِ، فهل بعدَ هذا الخيرِ مِن شرٍّ؟ قال: «نعم» قلتُ: وهل بعد ذَلك الشَّرِّ من خيرٍ؟ قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ» قلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قال:

«قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعرِفُ مِنهُمْ وَتُنْكِرُ».

قُلْتُ: فهل بعد ذلك الخيرِ مِن شرٍّ؟ قال:

«نَعم، دُعاةٌ على أبواب جَهَنَّم، مَن أجابَهُم إليها قَذَفُوهُ فيها».

قُلْتُ: يا رسولَ الله! صِفْهُمْ لنا، قال:

«هُمْ مِن جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا».

قُلتُ: فما تَأْمُرُنِي إنْ أَدْرَكَني ذلك؟ قال:

«تَلْزَمُ جماعَةَ المُسْلِمِينَ وإِمَامَهُم»

قُلتُ. فَإنْ لم تَكُنْ لهم جَمَاعَةٌ ولا إمامٌ؟ قال:

«فاعْتَزِل تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّها، ولو أَنْ تَعضَّ بِأَصْلِ شَجَرةٍ حتى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وأنتَ على ذلك».

رواهُ البُخَاريُّ (٧٠٨٤) ومُسْلِمٌ (١٨٤٧).

---

* * *

وهذا الحديثُ يَدُلُّ على الأُصول العامّة التي ينبغي على المسلمِ اتباعُها، وأهمُّ شيءٍ في ذلك هو اعتزالُ مواضع الفتنةِ التي تُؤَثر على حياة المسلم ودينهِ، خاصّة عند غيابِ جماعة المسلمين ذات الإمام الواحد المُنَفِّذِ للأحكام المُقيم للحدود.

وهذا ما أشار إليه الإمامُ الطبريُّ[١] حيثُ قال: (وفي الحديثِ أنّه متى لم يكن للناسِ إمامٌ، وافترق الناسُ أحزاباً، فلا يَتَّبعْ أَحَداً في الفُرْقَة[٢]، ويعتزلُ الجميعَ إنِ استطاع ذلك، خشيةً من الوقوع في الشَّرِّ).

هذا هو السَّبيلُ اليومَ في غُربةِ الإسلامِ، وَضِيَاعِ حَمَلَة الدِّين ودُعاتِهِ.

ولكن لا بُدَّ مِن: بيان السبيل.

---

(١) نقله عنه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/٣٧).

(٢) ولا يعني هذا إيقاف الدعوة، ومنع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما سيأتي تقريره

الحديث السادس:

بيان السبيل

عن العِرْباضِ بنِ سارِيَةَ قال:

وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ منها العُيونُ، وَوَجِلَتْ منها القُلُوبُ، فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ هٰذه لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فماذا تَعْهَدُ إلَيْنَا؟ قال:

«قد تركتُكم على البَيْضاءِ، لَيْلِها كَنهَارِها، لا يزيغُ عنها بَعْدي إلاّ هَالِكٌ، وَمَن يَعِشْ منكم فَسَيَرى اختلافاً كثيراً، فَعَلَيْكُمْ بما عَرَفْتُمْ مِن سُنَّتي، وَسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشدين المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجذِ، وعليكم بالطَّاعةِ، وإنْ عَبْداً حَبَشِيّاً، فَإنَّمَا المُؤْمِنُ كالجَمَلِ الأَنِفِ، حَيْثُما قِيدَ انْقَادَ».

أخرجه أحمد (١٢٦/٤) وابن ماجه (٤٣) والحاكم (٩٦/١) والبيهقي في «المدخل» (رقم: ٥١) وأبو عُبَيْد في «الخطب والمواعظ» (رقم: ٢٠) من طريق عبد الرحمن بن عمرو السُّلَمي عنه.

وسنده حَسَنٌ، وعبد الرحمٰن هذا وثّقه ابنُ حِبّان وروى عنه جماعةٌ، وصحّح له الترمذي والحاكم.

* * *

فالسبيلُ أبيضُ نَقِيٌّ، واضِحٌ جَلِيٌّ، بَيِّنٌ صَفِيٌّ، حتى إنّ «ليله كنهارِهِ»! وسع ذلك، فالناس يتخبّطون، لا الحقَّ يعرفون، ولا الباطلَ يجتنبون، فما السببُ في ذلك؟.

هل هو خفاءُ السبيل؟ لا، فالسبيلُ معروفٌ، ولكنّ معالمه عند الكثيرِ لا زالتْ غامِضَةً، لذا وَجَبَ معرفةُ: معالم السبيل.

الحديث السابع:

معالم السبيل

عن ابن عَبّاس قال:

خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ في حَجَّةِ الوَداعِ فقال:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي قد تَرَكْتُ فيكم ما إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي».

أخرجه الحاكم (٩٣/١) والبيهقي (١١٤/١٠) وابن حزم في «الأحكام» (٨٠٩/٦) من طريق ثَوْر بن زيد الدِّيلي عن عكرمة عنه.

وهذا إسناد حَسَنٌ.

وللحديث طريقٌ أُخرى:

أخرجه أبو الشيخ في «طبقات الأصبهانيين» (ق ٢٧٩) قال: حدّثنا أحمد ابن سعيد، قال: حدثنا عبد الواحد، قال: حدثنا هشام، عن يزيد الرَّقاشيّ، عن أنس بن مالك مرفوعاً: «لقد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تَضِلُّوا كتاب اللهِ وسُنّة نَبيِّهِ».

وسنده ضعيفٌ، هشام وشيخُه ضعيفان.

وله طريقٌ ثالثٌ عند البيهقي في «سننه» (١١٤/١٠) والدارقطني (٢٤٥/٤) والرافعي في «التدوين» (١٧٨/٤) وغيرهم من طريق صالح بن موسى عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح عن أبي هريرة.

وفي سنده صالحُ بن موسى الطَّلْحي، ولكنّهُ متروكٌ!.

وفي الطريق الأُولى غُنْية، والثانية تزيدها ثباتاً، والثالثة: فلا يُفْرَحُ بها!!.

---

* * *

فالركيزتان الأساسيتان لهذا السبيلِ هما الكتابُ والسُّنَّةُ، لا مَنَاص مِن وُجوب الأَخذ بهما، ولا مَفَرَّ من المَصيرِ إليهما، بعيداً عن آراءِ ذوي الأهواء، وفي مَعْزِلٍ عن مُحكِّمي التجارِبِ الشخصيّة والنَّزعات النفسية.

ويبرُزُ هنا سؤالٌ قد يَرِدُ على ذِهن البعض: وهل يُنْكِر أَحدٌ من الناسِ هاتين الركيزتين؟.

فالجواب: نَعَم، ولكنّه إنكارٌ مُبَطَّنٌ مَخْبوءٌ غيرُ ظاهرٍ، فلا يجرؤ أَحَدٌ من الناس مهما كان في الضلالةِ غريقاً أن ينكرهما صراحة!.

ولكنْ: هنا دقيقةٌ ينبغي التنبيه إليها، والتذكيرُ بها، وهي قضيّةُ فَهْمِ هاتين الركيزتين، ولا يكون ذلك إلاّ بـ: الفيصل.

الحديث الثامن:

الفيصل

عن أبي هُرَيرَةَ قال:

سُئِلَ رسُولُ اللهِ ﷺ: أيُّ الناسِ خَيْرٌ؟ فقال:

«أنا، والذين مَعِي، ثم الّذين على الأثر، ثم الّذين على الأَثَر» ثم كأَنَّهُ رَفَضَ مَن بَقِيَ.

أخرجه أحمد (٢٩٧/٢ و٣٤٠) وأبو نُعيم في «الامامة» (رقم: ٣) من طريق محمد بن عَجْلان، عن أبيه عنه.

وهذا إسنادٌ حَسَنٌ لِمَا قِيلَ في ابن عَجْلَانَ.

والحديثُ أصلُه في «الصحيحين» عن عِدّة من الصحابة، وأوردتُ هذا اللفظَ لِغَرابتهِ على حُسن سَنَدِهِ.

---

* * *

والفيصلُ في صَوابِ فهم الكتاب والسُّنَّةِ هو تطبيقُ الصَّحابةِ ومَن كان على الأَثَرِ بعدهم، ثم من كان بعد أُولاءِ على أثرهم أيضاً، فَهُمُ الخَيْرُ كُلُّ الخَيْرِ، وسواهم مرفوضٌ، ليس فيهم خَيْرٌ قَطٌّ.

فمن ادّعى أنّه على الكتاب والسُّنَّة دون هذا الفيصلِ فهو لنفسهِ مُخادِعٌ دونَ شكٍّ أو رَيْب.

وعلى قلّةِ مَن سار على هذا النهج الرشيدِ من المسلمين، فليس مِن شكٍّ أنَّ: الخير باقٍ.

الحديث التاسع:

الخير باقٍ

عن مُعاوِيةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«لاَ تزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتي قَائمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لا يَضرُّهُم مَنْ خذَلَهُمْ، ولا مَن خَالَفَهُم، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ على النَّاسِ».

رواه البُخاري (١٣/ ٢٥٠) ومسلم (١٠٣٧) عن مُعاوية.

---

* * *

وهذا الخيرُ على مَرِّ الأَعصار وفي مختلِفِ الأَمصار باقٍ، لا يُزيله تدبيرُ ماكرٍ، ولا يقمعُهُ مكرُ مُخاتِلٍ، لِذا فإنّ مَن خَذَلَ هذه الطائفةَ مِن أبنائها مِمّن اجتالَتْه شياطينُ الشهوات والشبهات، لا يَضُرُّها، وكذا مَنْ خَالَفَها مِمَّن جاهَرَها المخالفة، وناصبَها العداء، فهي ثابتةٌ بأمرِ اللهِ، منتظرةٌ أمرَ اللهِ.

وكلُّ فردٍ من أفراد هذه الطائفة عمدتُهُ في دعوته: صلاحٌ وإصلاح.

الحديث العاشر:

صلاح وإصلاح

عن سَهْل بن سَعْد، قال:

قال رسول اللهِ ﷺ:

«إنَّ الإسلامَ بدأَ غريباً وسيعود غريباً، فَطُوبى للغُرباء».

قالوا: يا رسولَ اللهِ! وما الغُرباء؟ قال:

«الَّذِينَ يُصلحون[1] عند فَسَادِ النَّاسِ».

---

(١) بضمّ الياء تعني إصلاح الآخرين، وبفتحها تعني صلاح الذات.

رواه الطبراني في «الكبير» (٥٨٦٧) و«الصغير» (٢٩٠) والقُضاعي (١٠٥٥) والدولابي (١/١٩٣) من طريق بكْر بن سُلَيم الصَّوَّاف عن أبي حازم عنه.

وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وقال الهيثميُّ في «المجمع» (٧/٢٧٨): «رواه الطبراني في «الثلاثة» ورجاله رجال الصحيح، ما عدا بكر بن سُلَيم، وهو ثقةٌ».

وللحديثِ طُرُق أُخرى عن عِدّة من الصحابةِ.

* * *

فغربةُ الإسلامِ بين النـاس تزيدُ المؤمنَ إيمـاناً، وترفـعُ يقينـه، وتُضاعِفُ ثباته، فهو صالحٌ في نفسِه، مُصْلِحٌ لغيره.

وهذه الغُربةُ ليس هو وحيداً فيها، إنّما مَثَلُهُ في ذلك مَثَل كثير من الأنبياء عليهم السلام، كما قال صلى الله عليه وسلم: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمم، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرُّهَيط، والنبيّ ومعه الرجل، والرجلان، والنبيُّ ليس معه أحد...**»[1].

«وفي هذا الحديث دليلٌ واضحٌ على أنَّ كثرة الأتباع وقلتهم ليست معياراً لمعرفة كون الداعية على حَقٍّ أو باطل»[2].

وصلاحُ الداعية في نفسه وإصلاحُه غَيْرَه قائمٌ على أُصول ثلاثة،أوَّلُها: توحيد الله.

---

(١) رواه البخاري (؟) ومسلم (؟) عن ابن عبس.

(٢) «السلسلة الصحيحة» (١/٦٨٤) للعلاّمة الألباني.

الحديث الحادي عشر:

توحيد الله

عن ابن عَبَّاسٍ قال:

لَمَّا بَعَثَ النبيُّ ﷺ مُعاذاً إلى نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قال له:

«إِنَّكَ تَقْدِمُ عَلى قَوْمٍ مِن أَهْلِ الكتابِ، فَلْيكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعوهم إلىٰ: أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تعالى، فإذا عَرَفُوا ذلك: فَأَخْبِرْهُم أَنَّ اللهَ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَواتٍ في يومِهِمْ وَلَيْلَتِهم، فَإذا صَلَّوْا: فَأَخْبِرْهُم أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عليهم زكاةَ أَموالِهِم تُؤْخَذُ مِن غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ على فقيرِهِمْ، فإذا أَقَرُّوا بذٰلك فَخُذْ منهم، وَتَوَقَّ كَرائِمَ أَمْوالِ النَّاسِ».

رواه البخاري (٧٣٧٢) ومسلم (رقم: ١٩).

---

* * * *

وهو الأمرُ الأوّلُ الذي يجب على المرءِ معرفتُه، فمن دونهِ لا يدخلُ أحدٌ الإسلام، فتوحيدُ اللهِ سبحانه هو الشّقُّ الأوّل من كلمة التوحيد: «لا إِله إِلاَّ اللهُ» أي: لا معبودَ بحقٍّ إِلاَّ الله سبحانه وتعالى.

والشِّقُّ الآخر مِن هذه الكلمة الطيِّبة: «محمد رسولُ اللهِ» وهي تعني: لا مَتْبوعَ بحقٍّ إلا رسولُ اللهِ ﷺ؛ وهٰذا هو الأصلُ الثاني: الاتباع.

الحديث الثاني عشر:

الاتباع

عن جابر بن عبد الله ؓ قال:

كان رسولُ الله ﷺ إذا خَطَب احْمَرَّت عَيْناه، وعَلاَ صَوْتُهُ، واشْتَدَّ غَضَبُهُ، حتى كأَنَّه مُنْذِرُ جَيْشٍ. يقولُ: صَبَّحكم ومَسَّاكم، ويقول:

«بُعِثْتُ أَنا والساعةُ كهاتَيْنِ» ويَقْرِنُ بين إِصْبَعَيْهِ السَّبابةِ والوُسْطى، ويقولُ:

«أَمَّا بَعْدُ، فإِنَّ خيرَ الحدِيثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهُدى هُدى مُحَمَّد وشَرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالَةٌ».

رواه مُسْلِمٌ (٨٦٧) وغيرُهُ.

وزادَ بعضُ مَن أَخرج الحديث: «وكُلّ ضلالةٍ في النار».

وإسنادُها صحيحٌ كما فصّلتُه في تعليقي على «جُزء اتِّباع السُّنن واجتناب البدع» (رقم: ١) للضياء المقدسي[١].

---

(١) وهو من منشورات دار ابن القيم بالدمام.

* * * *

وفي تأييدِ ذلك ما قاله المُفسِّرون عند قولِهِ تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يحزنون﴾[سورة البقرة: آية ١١٢] قالوا: «وهو مُحْسِنٌ: أي اتَّبَعَ فيه الرسول ﷺ فإنَّ للعَمَلِ المُتَقَبَّل شرطَيْن:

أحدهما: أن يكونَ خالصاً لله وحده.

والآخر: أن يكون صواباً موافقاً للشريعة.

فمتى كان خالصاً، ولم يكن صواباً، لم يُتَقَبَّل»[1].

فإذا استقرَّت في نفسِ العبدِ حقيقةُ الأصلين المتقدِّم ذِكرهما، وهما: التوحيد والاتِّباع، كان ذلك مفتاحاً للأصل الثالث مِن أصول دعوة الإسلام، وهو: التزكية.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٣١).

الحديث الثالث عشر:

التزكية

عن أبي هُريرةَ قال:

قال رسول الله ﷺ: «مَن يأخذ عَنّي هؤلاءِ الكلماتِ فيعْمَلَ بِهِنّ، أَو يُعَلِّمَ مَن يعملُ بِهِنّ؟». فقال أبو هُرَيرةَ: فقُلْتُ: أنا يا رسولَ الله، فأخذَ بِيَدي، فَعَدَّ خمساً، قال:

«اتَّقِ المحارِمَ تَكُنْ أعبدَ الناسِ، وارْضَ بما قَسَمَ اللهُ لك تَكُنْ أغنى النَّاسِ، وأحْسِنْ إلى جارِكَ تَكُنْ مُؤْمِناً، وَأَحِبَّ للنَّاسِ ما تُحِبُّ لِنَفسِكَ تَكُنْ مُسْلِماً، ولا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُميتُ القَلْبَ».

رواه الترمذي (٢٣٠٦) وأحمد (٢/٣١٠) والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٤٢) وأبو يعلى (٦٢٤٠) وأبو أحمد الحاكم في «الكنى» (ق ٢٥٧/أ) مِن طريق جعفر بن سُليمان عن أبي طارق عن الحسن، عنه.

وهذا إسنادٌ ضعيفٌ، له عِلّتان:

الأُولى: الحَسَن البصري مُدَلِّسٌ وقد عنعنه!.

الثانية: جهالة أبي طارق، وليس يُعرف له اسمٌ، أنظر «الاستغنىٰ» (رقم:١٦٩٤) و«كنى الحاكم» (ق ٢٥٧/م) و«المقتنىٰ في الكنى» (ق ٤٤/ب) للذهبي.

ولكنّ للحديثِ طريقاً أُخرى:

فأخرجه ابن ماجه (٤٢١٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٣٦٥/١٠) وفي «ذكر أخبار أصبهان» (٣٠٢/٢) وأبو يعلى (٥٨٦٥) والبيهقي في «الزهد» (رقم:٨١٨) من طرق عن أبي رجاء، عن بُرد بن سنان عن مكحول، عن واثلة، عن أبي هريرة.

ورواه هنّاد في «الزهد» (١٠٣١) و (١١٤٨) من الطريق نفسه بإسقاط مكحول.

قلتُ: إن كان هذا محفوظاً، فلا يضُرُّ، فرواية بُرد عن مكحولٍ وكذا عن واثلة، ثابتةٌ، فكلاهما شيخُهُ، ومثلُ هذا كثيرٌ في الأسانيد، كما لا يخفىٰ.

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١٥٠٣): «هذا إسناد حَسَن».

قلتُ: إنْ سَلِمَ من تدليسِ أبي رجاء، وقد عنعنه[1] فقد أورده ابنُ حِبَّان في «الثقات» (٥٠٤/٧) وقال: «وكان يُدلِّس عن مكحول يُعْتَبَرُ بحديثِهِ ما بيَّن السماعَ فيه عن مكحول وغيره».

وأقره ابن حجر في «طبقات المدلّسين» (رقم: ١٠٤) وكذا سبط ابن العجمي في «التبيين» (ص ٧٩)!

وهذا الشَّاهدُ - على ما فيهِ - يُحَسِّنُ الحديثَ إن شاءَ الله.

---

(١) وقد تكلّمتُ عليه بأكثر مِمَّا هُنا في كتابي «التعليق الصبيح على الترجيح لحديث صلاة التسبيح» (ق ٤١) لابن ناصر الدين يسّر الله إتمامه.

* * * *

والتزكيةُ هي تحريرُ النَّفس مِن الشوائِبِ، والأمراض التي يُسَلِّطُها الشيطان على عباد الله الصالحين الموحِّدين، فكلّما زكّى الإنسان نفسَه، قَرُبَ مِن ربِّه، وانْصَاعَ لأَوامِرِ خالقهِ، وسَهُلَ عليهِ ما تستصعبُهُ النفوسُ المريضة، وفي هذا يقولُ اللهُ تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [سورة الشمس: آية ٩].

والداعيةُ في تطبيقهِ لأُصولِ دعوتهِ الثلاثة، يجبُ أنْ لا يغيبَ عن بالهِ قَطُّ: طبيعةُ الدين.

الحديث الرابع عشر:

طبيعة الدين

عن أبي مُوسى الأشعريِّ قال:

كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا بَعَثَ أَحداً مِن أصحابِهِ في بَعْضِ أمرهِ قال:

«بَشِّروا ولا تُنَفِّروا، وَيسِّروا ولا تُعَسِّروا».

أخرجه مُسلم (١٧٣٢).

★ ★ ★ ★

وهي المَبْنِيَّةُ عى التبشيرِ دون التَّنْفير، وعلى التيسيرِ دونَ التَّعسير، فإذا وعَظَ أحداً فبسهولةٍ وحِكْمَةٍ، وإذا أَمَرَ بمعروفٍ فَبِلينٍ ويُسْرٍ، وإذا أنكر مُنكراً فبرحمةٍ وشَفَقَةٍ.

وبهٰذه الصِّفاتِ وَحْدَهَا - مع ما تقدّم - نَمْضِي قُدُماً بدينا نحوَ الطريق الأَتمِّ الأكمل في الصَّدارةِ من كُلِّ شيءٍ في حياتنا، وإلاّ فنحنُ بانتظارِ: بداية الخلل.

الحديث الخامس عشر:

بداية الخلل

عن أبي هُريرةَ قالَ:

بينما النبيُّ ﷺ في مجلسٍ يُحَدِّثُ القومَ جاءه أعرابِيٌّ، فقال: متى الساعةُ؟ فمضى رسولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فقال بعضُ القومِ: سَمِعَ ما قالَ فَكَرِهَ ما قالَ، وقال بعضُهم: بل لم يسمعْ، حتى إذا قضى حديثَه قال: «أينَ أُراهُ السائلُ عن الساعةِ»؟ قال: ها أنا يا رسولَ اللهِ، قال: «فإذا ضُيِّعَتِ الأَمانةُ فانتظِرِ الساعةَ». قال: كيفَ إضاعتُها؟ قال:

«إذا وُسِّدَ الأَمْرُ إلى غَيْرِ أهلِهِ فانْتَظِرِ الساعةَ».

رواه البخاريُّ في «صحيحه» (٥٩) و (٦٤٩٦).

---

* * * *

فإذا لم يعرفِ الإنسانُ قَدْرَ نَفْسِهِ، وتطاوَلَ قَلْبُهُ للصَّدَارَةِ وهو دونَها، كان ذلك بدايةَ النهايةِ له، وفي مِثْلِهِ يُقَالُ: «مَنْ تَصدَّرَ قبلَ أَوانِهِ فقد تصدّى لِهَوَانِهِ»!.

وإذا الأمرُ كذلك فلا بُدَّ مِنَ مَعْرِفَة: سَبَبُ الخلل.

الحديث السادس عشر:

سبب الخلل

عن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما قَال:
سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول:
«إِنَّمَا النَّاسُ كالإبِلِ المِئَةِ، لا تكادُ تَجِدُ فيها راحِلَةً».

رواه البخاري (٦٤٩٨) ومسلم (٢٥٤٧).

---

* * *

«هذا الحديثُ مشتملٌ على خَبَرٍ صادق، وإرشادٍ نافعٍ:

أمّ الخبرُ: فإنه صلى الله عليه وسلم أخبرَ أنَّ النقصَ شاملٌ لأكثر الناس، وأنَّ الكاملَ - أو مقاربَ الكمال - فيهم قليلٌ، كالإبل المئةِ تستكثرها، فإذا أردتَ منها راحلةً تصلحُ للحمل والركوب، والذهاب والإياب، لم تكد تجدُها، وهكذا الناسُ كثيرٌ، فإذا أردتَ أن تَنْتَخِبَ مِنهم مَن يصلُحُ للتعليمِ أو الفتوىٰ أو الامامةِ... لم تكد تجدُ من يقوم بتلك الوظيفة، قياماً صالحاً، وهذا هو الواقعُ، فإنّ الإنسانَ ظلومٌ

جهولٌ، والظلمُ والجهلُ سببٌ للنقائصِ، وهي مانعةٌ مِن الكمالِ والتكميلِ.

وأمَّا الإرشاد: فإنّ مضمونَ هذا الخبرِ إرشادٌ منه صلى الله عليه وسلم إلى أنّه ينبغي لمجموع الأُمَّةِ أن يَسْعَوْا، ويجتهدوا في تأهيل الرجالِ الذين يصلُحون للقيام بالمهمّاتِ، والأمورِ الكليّة العامةِ النفعِ»[1].

---

(١) «بهجة الأبرار» (ص٣١٦) للعلاّمة عبدالرحمٰن السعدي.

الحديث السابع عشر:

علاج الخلل

عن تَميمٍ الدَّارِيِّ قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«الدِّينُ النَّصيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ».

قُلْنَا: لِمَنْ يا رسول اللهِ؟ قال:

«لِلَّهِ، ولكتابِهِ، ولرسولِه، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ».

أخرجه مُسلم (رقم: ٥٥).

---

* * *

فبالنصيحةِ وحدَها نُقَوِّمُ أنفسَنا، وَنُصْلِحُ ذَاتنا، ونعالجُ خَلَلنا، فهي بهذا «فرضٌ لا ينبغي تركُه، وإدراكُ نافلةِ خيرٍ لا يَدَعُها إلاَّ مَن سَفِهَ نفسَه، وتَرَكَ موضعَ حَظِّه»[1].

---

(١) «الرسالة» (رقم: ١٧٠) للإمام الشافعي.

والناصحُ الأمينَ له علامةٌ، فعلامتهُ «إذا أراد زينة المنصوحِ له أن ينصحه سرّاً، وعلامة مَن أراد شَيْنَه أن ينصحه علانية»[1].

وبالنصيحة - إن شاءَ اللهُ - نَصِلُ إلى: الواقع الذي نريده.

---

(١) «روضة العقلاء» (١٩٦) لابنِ حِبّان.

الحديث الثامن عشر:

الواقع الذي نريده

عن أبي هُريرة قالَ:

قال رسولُ الله ﷺ:

« إنَّ مِن عِبَادِ اللهِ عِبَاداً لَيْسُوا بأَنبِياءَ، يَغْبَطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ والشُّهَداءُ » قيل: مَنْ هُمْ؟ لَعَلَّنَا نُحِبُّهم! قال:

« هُم قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللهِ مِنْ غَيرِ أرْحَامٍ ولا أَنْسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ، على مَنابِرَ مِن نورٍ، لا يخافونَ إذا خافَ النَّاسُ، ولا يَحْزَنونَ إذا حَزِنَ النَّاسُ ».

ثم قَرَأَ: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة يونس، آية ٦٢].

رواه الطَّبَريُّ في «تفسيره» (١٣٢/١١) وابن حِبّان في «صحيحه» (٢٥٠٨ - زوائده) من طريق ابن فُضَيل عن عُمارة بن القعْقَاع، عن أبي زُرْعَةَ، عن أبي هريرة.

وهذا إسنادٌ حَسَنٌ[1]، من أجل ابنِ فُضَيل واسمُه محمد، فهو صدوقٌ،ولا يَضُرُّهُ رَمْيُهُ بالتَّشَيُّعِ[2].

وللحديث شاهدٌ: أخرجه الحاكمُ في «مُستدركه» (١٧٠/٤) من طريق شُجاع بن الوليد، قال: سمعتُ رياد بن خَيْثَمة يُحَدِّثُ عن أبيه، عن ابن عُمرَ، وذكره.

وَصَحَّحَه الحاكمُ، ووافقه الذَّهبيُّ.

وهو كما قالا، لولا أنّ شُجاعاً لا يرتفعُ إلى الثقةِ، وكذا لا ينزل إلى الضعيفِ[3]، فهو حسَنٌ إن شاءَ الله، ومُتابعةُ غيرِه له، تَدُلُّ أنّهُ حَفِظَهُ.

وله في «الزهد» (٤٧٥) لِهَنّاد، و «سُنَن أبي داود» (٣٥٢٧) طريقان عن عُمر، لكنّ فيهما انقطاعاً.

وله شواهدُ أُخرى تُؤكد ثبوته لا مَجَالَ لِسَرْدِها، فانظر «الدر المنثور» (٣٧٢/٤ - الطبعة الثانية).

---

* * *

فبالمحبةِ في اللهِ سبحانه يسودُ الدعاةُ الخيرُ كلُّ الخيرِ، وبِهَا تتآلف قلوبُهم، وتسموا أرواحُهم.

وهذه المحبَّةُ يفرضُها عليهم الإسلامُ العظيمُ بصفائِه ونقائه، لا الحزبيّةُ الضيِّقةُ، والعصبيّةُ المَقِيتةُ!.

والمحبّةُ هذه: توجبُ على المسلمين والدعاة تأديةَ ما عليهم مِنَ: الحقوق.

(١) ثم رَأيتُ المعلق على «الإحسان» (رقم: ٥٧٥) يُصَحّح إسناده، وهو بعيدٌ!

(٢) وتشيُّع أولئك السابقين هو من ازدياد المَحبَّة والغلوّ فيها - وليس مقبولاً أيضاً - لكنّه ليس الرَّفض وسبَّ الصحابة كما هو حالُ تشيُّعِ اليومَ، فتنبّه!

(٣) قال ابن حُجر فيه: «صدوقٌ له أوهامٌ».

الحديث التاسع عشر:

الحقوق

عن أبي هُريرةَ قال:

قال رسولُ الله ﷺ:

«حَقُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ سِتٌّ».

قالوا: ماهُنَّ يا رسولَ اللهِ؟ قال:

«إذا لَقِيَه سَلَّمَ عليه، وإذا دَعاهُ أجابه، وإذا اسْتَنْصَحَ نَصَحَهُ، وإذا عَطَسَ فحَمِدَ اللهَ يُشَمِّتُهُ، وإذا مَرِضَ عَادَهُ، وإذا مات صَحِبهُ».

رواه مُسْلِمٌ (٢١٦٢).

---

* * *

فهذه الحقوقُ - وغيرُها - واجبٌ على الداعيةِ أن يُؤدِّيَها لأهلها من إخوانه وأصْحابِهِ، فهي سِيَاجٌ يحمي الدعوة من التفكُّكِ، ويَقي الداعيةَ مِن التَّسَيُّبِ، فهي صَوْنٌ لنفسهِ وصيانةٌ لإخوانه.

ولا بدَّ – بعد ما تقدَّم – مِن معرفةِ أُمورٍ كُلِّيَّةٍ ينبغي على المسلمِ – أيُّ مسلمٍ – أنْ يتنبَّه اليها ولا تغيبَ عنه، منها: بداية الداعية.

الحديث العشرون:

بداية الداعية

عن ابن عمر قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ[1]، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فمن كانتْ فَتْرَتُهُ إلى سُنَّتي فقد اهْتدى، ومن كانت فَتْرَتُهُ إلى غير ذلك فقد هلك».

رواه أحمدُ (١٨٨/٢ و٢١٠) وغيره بسند صحيح.

وانظر تخريجه في «جُزْء اتِّباع السُّنن..»[*](رقم ٨) بتعليقي.

---

* * *

ليس بخافٍ أَنَّ كُلَّ بدايةٍ صعبةٌ، وصعوبةُ البداياتِ تختلفُ باختلافِ النَّاسِ، وبالنسبة للمسلم الَّذي يُيَمِّمُ وجهَهُ شَطْرَ الدعوةِ إلى الله سبحانه، تكونُ بدايتُهُ قويّةً، وذلك أَنَّهُ يُريدُ أن يُطبِّق الدين كُلَّه، ويُريد أَن ينهى عن الشَّرِّ كُلِّه و.. وهكذا..

(١) هو النشاطُ والحماسُ. «قاموس: ٥٣٢».

(*) وقد قامت دار ابن القيم في الدمام بطبعه ونشره.

وهذا «النشاطُ والحماسُ» يوافقُ بعده فترةً وكسلاً عن تلك البداية القويّةِ، فإذا صادَفَتْ هذه الفترةُ سُنَّةً نبويّةً، وسَمْتاً حَسَناً، كانت له الهدايةُ، وقارنه التوفيقُ[1] وإلاَّ: فقد هلكَ - عياذاً بالله -

وقد كان منهجُ السَّلَف الصالح في هذا الدّلالة الى أهل السُّنة، فقد قال أيوبُ السَّخْتِيَانيُّ: إنَّ مِن سعادةِ الحَدَثِ والأعجميِّ أن يوفّقَها اللهُ للعالِمِ بالسُّنّة »[2].

وقال ابنُ شَوْذَب: «إنّ من نعمةِ اللهِ على الشابِّ إذا نَسَك أن يُؤاخي صاحبَ السُّنَّةِ يحملُهُ عليها »[3].

فالعجبُ مِمَّن يُنَفِّر الشبابَ المسلمَ من عُلَماءِ السُّنَّة ودعاتِها وذلك بالتشنيع عليهم، والتقليل مِن قَدْرِهم، والتنقيصِ من شأْنِهِمْ!! وفي بداية الداعية يجبُ عليهِ معرفةُ: أهمية الصحبة.

---

(١) انظر الحديث الآتي برقم (٣٤).

(٢) أخرجه اللالكائي «شرح أصول السنة» (رقم: ٣٠) وابن الجوزي (ص ١٨). وهو حَسَنٌ.

(٣) أخرجه اللالكائي «شرح أصول السنة» (رقم: ٣١) وابن الجوزي (ص ١٨) وهو كسابقه.

الحديث الحادي والعشرون:

اهمية الصحبة

عن أبي موسى الأشعريّ، قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السُّوءِ: كحاملِ المِسْكِ ونافخِ الكِيرِ، فَحامِلِ المِسْكِ: إما أَنْ يُحْذِيَكَ وإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنه، وَإِمّا أَنْ تَجِدَ منه رِيحاً طَيِّبَةً. ونافِخُ الكِيرِ: إمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً خَبيثَةً».

رواه البُخاريُّ (٤/٣٢٣) ومُسلم (٢٦٢٨).

---

* * *

وهذا تَتْميمٌ للمبحث السابق:

فَبِمِثْلِ هٰذه الصُّحْبَةِ يُنْقِذُ اللهُ الضُّلَّالَ، ويَهْدي الفَسَقَةَ، وقد روى العُلماءُ[١] عن يوسف بنِ أَسْباط أنه قال: «كان أبي قَدريّاً، وأخوالي

---

(١) «شرح أصول السنة» (رقم: ٣٢) للالكائي.

رَوَافِضَ، فأنقذني اللهُ بسفيانَ»[1].

وهكذا، فإنّ «صحبة الأخيار: توجب العلوم النافعة، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، وصحبةُ الأشرار تحْرِمُ من ذلك أجمع»[2].

وإذا استَقَرَّ الداعيةُ على المنهج الحقّ، مُرافقاً الصحبةَ الصالحةَ من أهل السُّنَّةَ، وَجَبَ عليه المحافظة علىٰ: قِوَام الدعوة.

---

(١) هو الثَّوْريُّ إمامُ السُّنَّة.

(٢) «بهجة الابرار» (ص ٢٣٦).

الحديث الثاني والعشرون:

قوام الدعوة

عن ابن مسعود قال:

قال: رسولُ الله ﷺ:

« ما مِن نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ في أُمَّةٍ قبلي، إلاَّ كان له مِن أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ[١]، وأصحابٌ، يأخذون بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمره، ثُمَّ إِنَّها تخلُفُ مِن بعدِهم خُلوفٌ[٢]، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤْمَرون، فَمَنْ جاهَدَهم بيدِهِ فهو مُؤْمِنٌ، وَمَن جاهَدَهم بلسانِهِ فهو مُؤْمِنٌ، ومَن جَاهَدَهم بقلبِهِ فهو مُؤْمِنٌ، ليس وراءَ ذلك من الإيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ ».

رواه مُسلم (رقم: ٥٠).

---

* * * *

وروحُ الدعوةِ وقِوامُها، وَلُبُّها ولُبابُها: الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن

---

(١) أنصار.

(٢) جمعُ « خَلْف »، وهو من يجيءُ بعد مَن مضى.

المنكر، فإنْ لم يكن ذلك جاءَ مِن اللهِ الغضبُ، وعَمَّنا منه العقابُ، كما قال النبيُّ ﷺ: «**ما مِن قومٍ يُعْمل فيهم بالمعاصي هم أَعَزُّ مِمَّن يعملُها، ثم لا يُغَيِّرُون ذلك، إلاَّ عَمَّهم الله بعقابٍ منه**»[1].

والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر له دَرَجَاتٌ وَرَدَت في حديثِ الباب، يَنْبَغِي على الداعية ألاّ يتجاوزَ دَرَجَةً على حِسَاب أُخْرَىٰ، إنّما يتدرّجُ فيها على حَسَبِ وسعهِ، ووفْقَ قُدْرته.

والمسلمُ في أمره بالمعروفِ أو نَهْيِهِ عن المنكر، لا يخرجُ في فِعْلهِ عن: أخلاق الداعية.

---

(١) وهو حديثٌ حَسَنٌ، خرّجتُهُ في تعليقي على «تَشَبُّه الخسيس» (ص٢٩) للحافظ الذهبي.

الحديث الثالث والعشرون:

اخلاق الداعية

عن أنس قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«ثلاثٌ مُهْلِكاتٌ، وثلاثٌ مُنْجِيَاتٌ:

ثلاثٌ مُهْلِكَاتٌ، شُحٌّ مُطاعٌ، وهَوىً مُتَّبَعٌ، وإعجابُ المَرْءِ بنفسِه.

وثلاثٌ منجياتٌ: خَشْيَةُ اللهِ في السِّرِّ والعلانية، والقَصْدُ في الفَقْرِ والغِنىٰ، والعَدْلُ في الغَضَبِ والرِّضا».

أخرجه البزار (رقم:٨١) والعُقَيلي (٤٤٧/٣) وأبو نُعَيم (٣٤٣/٢) والقضاعي (رقم:٣٢٥) من طريق أيوب بن عُتبة، عن الفضل بن بكر العبدي عن قتادة، عن أنس.

وهذا إسناد فيه علل:

الأُولى: ضعف أيوب بن عتبة.

الثانية: جهالة الفضل.

الثالثة: عنعنة قتادة، فهو مدلِّس.

وقد تابَعَ الفضلَ يحيى بنُ عبّاد، أخرجه أبو الشيخ في «طبقات الأصبهانيين» (ق ١٣٥).

قلتُ: وفي الطريق إليه عكرمةُ بن إبراهيم، وهو ضعيفٌ.

ولقتادةَ مُتابعٌ:

أُخرجه البزّار (رقم: ٨٠) وابن شاهين في «الترغيب» (ق ٢٦٤/ب) ومِن طريقه أبو حفص بن اللَّمِش في «تاريخ دُنَيْسَر» (ص ١٢٥) من طريق زياد بن أبي الرُّقَاد، عن زياد النُّمري، عن أنس.

وزياد وزائدة ضعيفان!

وللحديثِ طريقٌ أُخرى:

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/٢١٩) من طريق عيسى بن ميمون، عن محمد بن كعب عن ابن عباس.

وعيسى بن ميمون هو الواسطيُّ المدنيُّ ضعيفٌ.

وتُوبعَ:

فقد أخرجه الرافعيُّ في «التدوين في أخبار قزوين» (٣/٤٠٥) من طريق سُويد بن سعيد، عن سفيان بن عيينة، عن سلمة بن كهيل، عن الضحاك، عن ابن عباس.

وله علّتان: ضعف سُويد بن سعيد، والانقطاع بين الضحاك وابن عباس

وطريقٌ ثالثةٌ:

أخرجه البيهقي في «شعب الايمان» (ج ٢/ق ٣٨٢/أ) من طريق بكر بن سُلَيم الصَّوَّاف، عن أبي حازم، عن الأعرج، عن أبي هريرة.

وسنده ضعيفٌ، فإنّ في بكرٍ كلاماً يُضَعِّفُهُ!

وطريقٌ رابعةٌ:

أخرجه الطبراني في «الأوسط» (ق ١٥ - زوائده) مِن طريق محفوظ بن يحيى الأنطاكي، عن الوليد بن عبد الواحد التميمي، عن ابن لَهيعة، عن عطاء

بن دينار، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عمر.

قال الهيثمي في «المجمع» (٩١/١): «وفيه ابْن لهيعة، ومن لا يُعرف».

وتابعه شيخُنا في «الصحيحة» (٤١٦/٤) بقوله: «وهو ضعيفٌ لحال ابن لهيعة، وجهالة مَن دونه».

قلتُ: تحرّف اسمُ والد «محفوظٍ» على الهيثميّ، فلم يعرفه، وهو معروفٌ، مُتَرْجَم في «الكامل» و«اللسان» وغيرهما.

وقد اتُّهم بالكذب، ولا يثبتُ ذلك أمامَ النقد، إنما هو ضعيفٌ يرفعُ الموقوفات ويَصِلُ المُرْسَلَات!.

أمَّا الوليدُ، فقد أورده ابن حبان في «الثقات» (٢٢٤/٩)، ولم يذكر من الرواة عنه إلا محفوظاً، فهو مجهولٌ.

وقد وَقَعَتْ نِسْبَتُهُ في «الأوسط»: «التميمي» وفي «الثقات» «التيمي»!.

والخلاصةُ: أنّ الحديثَ حَسَنٌ بلا ريب، لِمَا تقدّم مِن طُرُقِهِ الكثيرة، لِذا قال المنذريُّ في «الترغيب والترهيب» (١٦٢/١): «رواه البزّار والبيهقي وغيرهما، وهو مرويٌّ عن جماعةٍ من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يَسْلَمُ شيءٌ منها مِن مقالٍ، فهو بمجموعها حَسَنٌ إن شاء الله».

قلتُ: وهو الصوابُ.

---

* * * *

والأخلاق المشارُ إليها هي النَّبائِلُ كلُّها، والفضائِلُ جَمْعاء، هي البُعْدُ عن كُلِّ سوء، والقُرْبُ مِن كَلِّ خَيْرٍ.

ومِن الأخلاق السيِّئة التي ينبغي تجنُّبها: إعجاب المرء بنفسِه! ويزيدُ ذلك سوءً إذا وافقَه جهلٌ مِن البعض، فَيتَّبِعُونَ هذا المُعْجَبَ بنفسِهِ –

عياذاً بالله - عِلماً أنَّ مثلَ هذا الاتِّباعِ وحَده - عند كثيرٍ من العلماء الربّانيِّين - مكروهٌ مُستَقْبَحٌ، فلقد رأى عاصِمُ بنُ ضَمْرَةَ قوماً يَتَّبِعون رجلاً، فقالَ: «إنَّها فتنةٌ للمتبوع، مَذَلَّةٌ للتابع»[1]!

فكيفَ بِمُعْجَبٍ بنفسِهِ، يطعنُ بغيرِه، لِيُكَثِّر أتباعَهُ! فَمِثْلُ هذا يجمعُ سوءً على سوءٍ!!!

فأخلاق الداعيةِ الفاضلةُ تدفعُهُ دفعاً حثيثاً لأن يحافظَ على: سياج الدعوة.

---

(١) «العلل» (١٦/٢) لأحمد بن حنبل.

الحديث الرابع والعشرون:

سياج الدعوة

عن أَبي هُرَيرةَ، قال:

قال رسُولُ اللهِ ﷺ:

«لا يَفْرَكْ[1] مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إنْ كَرِه مِنْهَا خُلُقا رَضِيَ منها آخَرَ».

رواه مُسْلِمٌ (١٤٦٩).

---

* * *

«وهذا الأَدَبُ الذي أرشد إليه ﷺ ينبغي سلوكُه واستعمالُه مع جميعِ المعاشِرين والمعامِلين، فإنّ نفعه الدينيَّ والدنيويَّ كثيرٌ، وصاحبُهُ قد سعىٰ في راحةِ قلبهِ، وفي السببِ الذي يُدرك به القيامَ بالحقوق الواجبة والمستحبّة، لأَنَّ الكمال في الناس مُتَعَذّرٌ. وحَسْبُ الفاضلَ أن تُعَدَّ معايِبُهُ.

---

(١) يُبْغِضُ.

وتوطينُ النفسِ على ما يجيء مِن المعاشِرين مِمَّا يخالفُ رغبةَ الإنسان، يُسَهِّلُ عليه حُسْنَ الخُلُق، وفِعْلَ المعروفِ، والإحْسَانَ مع الناس »[1].

وفائِدةٌ أُخرى مُهِمَّةٌ يُشِير إليها هذا الحديثُ الشريفُ، وهي: « زوالُ الهمِّ والقَلَق، وبقاءُ الصَّفاءِ، والمداومةُ على القيامِ بالحقوقِ الواجبةِ والمستحبّة، وحصولُ الراحةِ بين الطرفين.

ومَن لم يسترشد بهذا الَّذي ذَكَرَه النبيُّ ﷺ بل عَكَس القضيّةَ، فَلَحِظَ المساوىءَ، وَعَمِيَ عن المحاسنِ، فلا بُدَّ أن يَقْلَقَ، ولا بُدَّ أن يتكدَّر ما بينَه وبين من يَتَّصِل به مِن المحبّةِ. ويتقطَّع كثيرٌ مِن الحقوق التي على كُلٍّ منهما المحافظةُ عليها »[2].

ومعرفةُ الداعية لسياج الدعوة يجعلُه بالمحلِّ الأعلى مِن: تقدير الأمور.

---

(١) « بهجة الأبرار » (ص ١٧٥) للسعدي.
(٢) « الوسائل المفيدة.. » (ص١٩) للسَّعْدي، بتعليقي.

الحديث الخامس والعشرون:

تقدير الأمور

عن عائشةَ قالت:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«يا عائشةُ! لولا أنّ قَوْمَكِ حَدِيثو عَهْدٍ بجاهليةٍ، لأَمرتُ بالبَيْتِ فَهُدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فيه ما أُخرِجَ منه، وأَلْزَقْتُهُ بالأرضِ، وجعلتُ له بابَيْنِ: باباً شَرْقِياً، وباباً غَرْبِياً، فبلغتُ به أساسَ إبراهيمَ»..

رواه البُخاري (١/١٩٨) ومسلم (١٣٣٣).

---

* * *

فَبِتَقْديرِ الأُمورِ يُوضَعُ كُلُّ شيءٍ في نِصابهِ، وتتجلّى حِكْمةُ الداعيةِ في أعلى صُورِها، فلا يُضَخّمُ صغيراً، ولا يُصَغِّرُ عظيماً، ويتأمّل السياسةَ الشرعيّة في سائر أفعالهِ.

ولقد غلا أُناسٌ في هذه المسألةِ، فَتَراهم لا يُقيمون للسُّنَّةِ وزناً، ولا للحقّ رَأْساً! حِرْصاً - بِزَعْمِهم - على وحدةِ الأُمّةِ، وشُعور النَّاسِ!!

وفي ظَنّي أنّ غُلُوّهم هذا جاءَ رَدَّةَ فِعْلٍ لما يفعلُهُ بعضُ الناسِ أيضاً - فتراهم يُقيمونَ الدنيا على أَقَلّ الأُمور!

والحقُّ بين هاتين الفِئَتَيْنِ:

فنحن لا نسكتُ عن الحقّ وتبليغِ السُّنَّةِ، وفي الوقتِ نفسهِ، نُبَلِّغُها بكلّ حكمةٍ وبكلّ أُسلوب حَسَنٍ.

فإذا رَأَيْنَا أَنَّ هناك أشياءَ عكسية حصلَتْ أو ستحصُلُ، اكتفينا بالذّكرىٰ ﴿ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

(سورة الذاريات، آية ٥٥).

وهذا هو أسلوبُ النبيّ ﷺ في: طريقة التربية.

الحديث السادس والعشرون:

طريقة التربية

عن عائشةَ قالت:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«يا عائشةُ! إِنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويُعْطي على الرِّفق ما لا يُعْطي على العُنف، وما لا يُعْطي على ما سواه».

أخرجه مسلم (٢٥٩٣).

---

* * *

فالمنهجُ إذاً:

الدعوةُ بِرِفْقٍ ويُسْرٍ ولِينٍ، والبُعْدُ عنِ العُنفِ والشِّدَّةِ والقسوة.

فبهذا: يستجيبُ لنا الناسُ والمدعوّون في الدنيا، ونحظى برِضا اللهِ وعَفْوِهِ في الآخرة.

ومِن الأُمور الكُلِّيَّة الّتي ينبغي معرفتُها[1]: الفرق بين النظرية والتطبيق.

(١) كما أشرت في شرح الحديث المتقدم (برقم: ١٩).

الحديث السابع والعشرون:

الفرق بين النظرية والتطبيق

عن أنس بن مالك قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«رأيتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي رِجالاً تُقْرَضُ شِفاهُهُم بِمَقَاريضَ من نارٍ، فقُلْتُ: مَن هؤلاء يا جبريلُ؟ فقال: الخُطَباءُ مِن أُمَّتِك، يأْمُرونَ النَّاس بالبِرِّ ويَنْسَوْن أنفُسَهم وهم يَتْلونَ الكِتَابَ، أفلاَ يَعْقِلون؟».

رواه ابن حِبّان (رقم: ٥٣- الإحسان) من طريق هشام الدَّسْتُوائي، عن المغيرة خَتَن مالك بين دينار، عن مالك بن دينار، عنه.

وسندُهُ حَسَنٌ إن شاءَ اللهُ، كما فصّلتُه في كتابي «المُنْتَقَى الصَّحيح من أَحاديث الإسراء والمعراج»[1] (ق ٣٥) يسّر الله إتمامه على خير.

---

(١) وهوَ مختصرٌ من كتابي الكبير «مَرْويات الإسراء والمعراج في ضَوءِ النَّقْدِ الحديثي» وَفَّقني اللهُ لإتمامهِ بمنّه وكَرَمِهِ.

* * *

وهٰذه قضيّةٌ مِن أهمّ ما يواجهُها الدُّعاةُ إلى الله سبحانه، فترىٰ الداعيةَ أو الخطيبَ يتحدّثُ عن الزُّهدِ وهو عنه بمعزلٍ، أو يتكلّم عن الغِيبَةِ وهو لَهَا صاحبٌ ورفيقٌ، أو يُذَكِّر بالآخِرة وهو (آخِر) مَن يُفَكِّر فيها أو يُعِدُّ لها!!

فالّذي هذا حالُهُ: الخوفُ عليهِ كبيرٌ، والبُعْدُ عنه مَغْنَمٌ وفير، إلاّ لِنُصْحٍ أو تذكير!

ومِن الأُمورِ الواجبِ معرفتُها: دقة الداعية وحرصه.

الحديث الثامن والعشرون:

دقة الداعية وحرصه

عَنْ أَبِي هُرَيرةَ قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ».

رواه مُسْلم في مُقَدّمة «صحيحه» (رقم: ٥) وأبو داود (٤٩٧١) وابن حِبَّان (رقم: ٣٠- ترتيبه) والحاكم (١/١١٢) من طريق شُعبة عن خُبَيْب بن عبد الرحمن عن حَفْص بن عاصم عنه.

وهذا إسْنادٌ صحيحٌ[١].

---

(١) إنّما تكلمتُ على سنده وهو في (صحيح مسلم) لأنه أورده في المقدمة. وقد فرّق العُلَمَاءُ بين ما أخرجه في (صحيحه) وفي مقدمته. كما شرحتُه في غير هذا الموضع وبالله التوفيق.

* * *

فالداعيةُ دقيقٌ في كُلِّ شيءٍ، وبِخاصّة فيما يسمعُهُ من الناس، أو يقرؤهُ مِن الكُتُبِ. فالواجبُ أن يحرصَ جدّاً على التثبُّتِ مِن كُلِّ ما يصلُ أُذُنَه أو عَيْنَه قبل إشاعتهِ بينَ الخلائِقِ، ونَشْرِهِ.

وتزدادُ دقتُه في صورتَيْنِ ثِنْتَيْنِ:

الأولى: إذا كان الذي بَلَغَهُ شَيءٌ له صِلَةٌ بالدينِ والشَّرْعِ. كحديثٍ مَرْويٍّ، أو حُكْمٍ فِقْهِيٍّ، ونحوِهِ!

الثانية: إذا كان الّذي بَلَغَهُ خَبَرُ سوءٍ عن رَجُلٍ، أو كَلِمَةُ شَرٍّ عن أَحدٍ!

فحِينئذٍ يَجِبُ عليه التَّثَبُّتُ، والحِرْصُ على الدِّقَّةِ وَتَوخِّي الحقيقةِ، لا المُسارعةُ إلى النَّقْلِ، والانْدِفاعُ إلى الإخبار!

والحِرْصُ يدفعُ الداعيةَ إلى الحَفَاظِ على: قيمةِ الوقت.

الحديث التاسع والعشرون:

قيمة الوقت

عن الزُّبَيْر بن عَدِيّ قال:

دَخَلْنا على أَنَس بن مالك، فَشَكَوْنا إليه ما نَلْقَىٰ من الحَجَّاج[1]، فقال: «اصْبِروا، لا يَأْتي عليكم زمانٌ إلاّ بالّذي بعدَه شَرٌّ منه، حتى تَلْقَوْا رَبَّكُم» سمعتُ هذا مِن نَبِيكم.

أخرجه البُخاري (٧٠٦٨).

---

* * *

فللوقتِ قيمةٌ كبرىٰ، في كُلِّ يومٍ تزدادُ عمَّا قبلَه، بخاصّةٍ أنّ ما أشار إليه الحديثُ السابقُ نَذيرُ خَطَرٍ على الأُمَّةِ كُلِّها إنْ هي لم تستثمر وقتَها، وتستفِدْ منه.

---

(١) هو الثقفيُّ المعروفُ قالَ الذَّهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/٣٤٣) في ختام ترجمته: «نَسُبُّهُ ولا نُحِبُّهُ، بل نبغضه في الله، وله حسناتٌ مغمورةٌ في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله»!!

ومِمّا يُبَيِّنُ قيمةَ الوقتِ ما قاله الـمُفَسِّرون في سورة ﴿وَالعَصْرِ﴾، مِن ذلك ما قاله الفَخْرُ الرَّازيُّ في «تفسيره»[1]:

«أقسم اللهُ تعالى بالعصر - الّذي هو الزمنُ - لِمَا فيه مِن الأعاجيبِ، لأنّه يحصُلُ فيه السَّرَّاءُ والضَّرَّاءُ، والصحَّةُ والسَّقَمُ، والغِنى والفقرُ، ولأنّ العمرَ لا يُقَوَّمُ بشيءٍ نفاسةً وغلاءً.

فلو ضَيَّعْتَ ألفَ سنةٍ فيما لا يَعني، ثُمَّ تُبْتَ وَثَبَتَتْ لك السعادةُ في اللَّمحةِ الأخيرةِ مِن العُمُرِ، بقيتَ في الجنَّةِ أَبَدَ الآبادِ، فعلمتَ أَنَّ أشرفَ الأشياءِ حياتُكَ في تلك اللَّمحةِ، فكان الزمانُ مِن جُملةِ أُصولِ النِّعَمِ، فلذلك أقسمَ اللهُ به، ونبّه سبحانَه على أنَّ الليلَ والنهارَ فُرصةٌ يُضَيِّعُها الإنسانُ! وأنَّ الزمانَ أشرفُ مِن المكانِ فأقسمَ بهِ، لكونِ الزمانِ نعمةً خالصةً لا عيبَ فيها، إنّما الخاسرُ المعيبُ هو الإنسانُ».

فَمَن عَرَفَ للوقت ثَمَنَه وللزَّمَنِ قيمتَه وَجَبَ عليهِ أَنْ يعلَمَ أنَّ ساعاتِ عُمرِهِ إمّا له، وإمّا عليه، فحينئذٍ يُقال له: فاغتَنِمها.

---

(١) (٣٢/٨٤).

الحديث الثلاثون:

... فاغتنمها[1]

عن ابن عبّاسٍ قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ وهو يَعِظُهُ:

«اغْتَنِمْ خَمْساً قبل خَمْس، شبابَكَ قبل هَرَمِك، وصِحَّتَكَ قبل سَقَمِك، وغَناءَك قبل فَقْرِك، وفراغَكَ قبل شُغْلِك، وحياتَك قبل موتِك».

رواه الحاكم (٣٠٦/٤) والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (٢٤٠/٣/٢) بسندٍ صحيحٍ، وحَسَّنه العراقي في «تخريج الإحياء» (٤٤٣/٤).

ورواه ابن المبارك في «الزهد» (رقم: ٢) وأبو نُعيم في «الحلية» (١٤٨/٤) ووكيع في «الزهد» (رقم: ٧) والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٣٢٨/١٣) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٢٩) والخطيب في «اقتضاء العلم» (رقم:١٧٠) وفي «الفقيه والمتفقه» (٨٧/٢).

مِن مُرْسَل عمرو بن ميمون بسند حَسَن.

---

(١) «انظر الاربعون في الشخصية الإسلامية» (رقم: ١١) وقد قامت دار ابن القيم في الدمام بنشره.

* * *

فهذه الأمورُ المطلوبُ اغتنامُها والفُرَصُ المأمورُ اهْتِبَالُها: كلُّها علاماتُ خيرٍ، وإشاراتُ بِرٍّ، وإنْ لم يفعلْ: انقلبتْ هي عليه، وكانَتْ ضِدَّه، وقيلَ له[1]:

الوقتُ أنفسُ ما عُنيتَ بحفظِهِ وأراه أسْهَلَ ما عليك يضيعُ

وهٰكذا فإنَّ «وقتَ الإنسانِ هو عُمرُهُ في الحقيقةِ، وهو مادةُ حياتهِ الأبديّة في النعيم المُقيم، ومادّةُ معيشتهِ الضَّنك في العذابِ الأليمِ، وهو يمرُّ مرَّ السحبِ، فما كان مِن وقتهِ للهِ وباللهِ، فهو حياتُهُ وعمرُه، وغيرُ ذلك ليس محسوباً من حياتهِ. وإن عاشَ فيهِ عيشَ البهائم، فإذا قَطَعَ وقتَه في الغفلةِ والسهوِ والأمانيِّ الباطلةِ، وكان خيرَ ما قطعه به النومُ والبطالةُ، فموتُ هذا خَيْرٌ له من حياتهِ»[2].

وممّا تَجِبُ معرفتُهُ للحذَرِ منه: فتنة الداعية.

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢٨١/١)

(٢) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» (ص ١٨٤) لابن القيم.

الحديث الحادي والثلاثون:

فتنة الداعية

عن أبي الأعور السُّلَميِّ قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

« إيَّاكم وأبوابُ السُّلْطانِ، فإنَّه قد أَصْبَحَ صَعْباً هَبوطاً ».

رواه ابن عساكر (١٢/ق٤٦٢- مصورتي) من طريق عُبَيد بن يَعيش، حدثنا محمد بن فُضيل، عن إسماعيل، عن قيس، عنه.

ورواه الطبراني في « الأوسط » كما في « المجمع » (٥/٢٤٦) وقال الهيثمي: « ورجاله رجال الصحيح ». وإسنادُهُ حَسَن مِن أجل ابن فُضَيل.

وأبو الأعْور السُّلَمي، اسمه: عَمْرو بن سفيان، أثبت صُحْبَتَه جمعٌ من الأئمة[١].

---

* * *

فالقُربُ مِن السُّلْطانِ مِن أَشَدِّ الفِتَن، وبهِ يتعرَّضُ الداعيةُ لبلاءٍ كبيرٍ، « ومِن أعظم ما يُخْشىٰ علىٰ مَن دَخَلَ على الـمُلوكِ الظَّلَمَةِ أنْ

---

(١) انظر « الاستغنى في الكنى » (١/١٠٣) لابن عبد البر.

يُصَدِّقَهم بكذبِهم، ويُعينَهم على ظُلْمِهم ولو بالسُّكوتِ عن الإنكار عليهم، فإنّ مَن يُريدُ بدخولِهِ عليهم الشَّرَفَ والرئَاسةَ وهو حريصٌ عليها، لا يُقْدِمُ على الإنكار عليهم، بل رُبَّما حَسَّن لهم بعضَ أفعالِهم القبيحةِ تَقَرُّباً إليهم ليُحَسِّنَ موقفَه عندهم ويُساعِدوه على غَرَضِهِ»[1].

ومِن البلاءِ الكبيرِ أَنْ يُزَيِّنَ الشيطانُ للداعيةَ قُربَه من السُّلْطان بأنّه لِنفع الدعوةِ، وخيرِ الدِّينِ، وهو عن ذلك بمعزل!! إنّما لمصلحتهِ الشخصيّة، مُحافَظَةً على كيانهِ ومنصبهِ وجاهِهِ!

والقربُ مِن السُّلْطان إذا كانَ لِدعوَتهِ وأمره بالمعروفِ ونهيهِ عن المنكر، فهو عَمَلٌ خَيِّرٌ يُجْزىٰ عليه صاحِبُهُ الجزاءَ الحَسَنَ مِن رَبِّهِ.

وهكذا فإنَّ: جهر الداعية بالحق من القضايا المهمة...

(١) «شرح حديث ما ذئبان جائعان» (ص٥٠) لابن رجب.

الحديث الثاني والثلاثون:

جهر الداعية بالحق

عن عليٍّ قال:

لَـمَّا ضَمَمْتُ إِليَّ سلاحَ رسولِ اللهِ ﷺ، وجدتُ في قائم سيف رسولِ اللهِ ﷺ رقْعَةً فيها:

«صِلْ مَن قَطَعَكَ، وأَحْسِنْ إلى مَن أساءَ إليك، وقُلِ الحقَّ ولو على نَفْسِك».

رواه أبو عَمْرو بن السمَّاك في «حديثِهِ»(٢/٢٨/١) - كما في «الصحيحة» (رقم: ١٩١١) وابن النجّار في «ذيل التاريخ» - كما في «جمع الجوامع» (رقم: ٦٩٢٩ - ترتيبه) من طريق إبراهيم بن المنذر، عن حسين بن زيد، عن جعفر ابن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي.

وسنده حسن، إبراهيم وحُسَين صدوقان.

---

* * *

مِن القضايا الـمُهِمَّة الواجب تَذَكُّرُها والتذكيرُ بها، وبخاصّة في هذا الزَّمَن الذي اضْطَرَبَتْ فيهِ المفاهيم، واختلفتْ فيه المبادىء، فأصبحت الـمُداهنةُ مكانَ النُّصْح، والمجامَلَةُ مكانَ الذِّكرى.

فالداعيةُ يجهرُ بالحقّ - بالأسلوب الطّيّب كما أسلفتُ - دونما فَرْقٍ بين حاكمٍ أو محكوم، شيخٍ أو مُريدٍ، نفسِهِ أو غيرِه.

وجهرُهُ بهذا الحقّ يستلزمُ منه: الإنتصارُ للمؤمنين.

الحديث الثالث والثلاثون:

الانتصار للمؤمنين

عن سعيد بن المُسَيِّب رحمه الله قال:

بينما رسولُ اللهِ ﷺ جالسٌ ومعه أصحابُه، وَقَعَ رَجُلٌ بأبي بكرٍ، فآذاه، فَصَمَتَ عنه أبو بكرٍ، ثُمَّ آذاهُ الثانيةَ، فَصَمَت عنه أبو بكرٍ، ثُمَّ آذاهُ الثالثةَ، فانْتَصَرَ منه أبو بَكْرٍ، فقام رسولُ اللهِ ﷺ حين انْتَصَرَ أبو بكرٍ، فقال أبو بكرٍ: أَوَجَدْتَ عَلَيَّ يا رسولَ الله؟ فقال رسولُ الله ﷺ:

« نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُكَذِّبُهُ بِمَا قَال لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَرْتَ، وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فلم أَكُنْ لأَجْلِسَ إذ وَقَعَ الشَّيْطَانُ ».

رواه أبو داود (٤٨٩٦) والبخاري في « التاريخ الكبير » (١٠٢/٢) من طريق بشير بن المُحَرَّر عن سعيد مرسلاً. قلتُ: وبشيرٌ وثّقه ابنُ حِبان، وروى عنه اثنان.

وقد وصله أبو داود (٤٨٩٧) فقال: حدثنا عبد الأعلى بن حمّاد، حدثنا سفيان، عن ابن عجلان، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هُريرة، أن رجلاً كان يسبُّ أبا بكر، وساق نحوه.

وهذا إسنادٌ حَسَنٌ لِمَا قِيلَ في ابن عجلان.

ورواه أحمد (٤٣٦/٢) من طريق سفيان به.

ولا يَرِدُ علينا قولُ الحافظ ابن حجر في عبد الأعلى: «لا بأس به» فإنَّ عبد الأعلى أرفعُ مِن ذلك، فهو من شيوخ البخاري ومسلم وأبي زُرْعة، ووثّقه ابنُ معين وأبو حاتم وابنُ حِبَّان والدارقطنيُّ ومَسْلَمة بن القسم والخليلي، فَلْيُصَحَّح ما في «تقريب» الحافظ!

وقد تابع سفيانَ على روايته موصولاً صفوانُ بنُ عيسى كما قال أبو داود في سننه» عَقِبَ روايته الحديثَ.

وكذا تابعه عليٌّ بن المديني عند البغوي في «شرح السنة» (٣٥٨٦).

وقد قال البخاريُّ في «تاريخه» بعد روايته المرسلَ وإشارتِهِ إلى الموصُول: «والأولُ أصحُّ».

قلتُ: ولا يَعْني قولُه هذا إنكارَ المَوْصُول كما هو واضحٌ، ومع ذلك نقولُ: الوصلُ زيادةٌ من الثقةِ، ينبغي قَبُولُها، وبخاصّةٍ إذا عرفنا أنّ الذي روى المُرْسَلَ شِبْهُ مجهولٍ وهو ابنُ المُحَرَّر هذا، واللهُ المُسْتَعانُ[1].

---

* * * *

فالانتصارُ لِلمؤْمنينَ أَمْرٌ عظيمٌ جداً، يُحافِظُ به الداعيةُ على حَبْلِ وُدِّهِ مَعَ إخوانهِ مِمَّن يعرفُ أو لا يعرفُ، أَمَّا إذا سَكَت وما تَكَلَّم، وآثَرَ الصَّمْتَ على الذَّبِّ عن إخوانِه والانتصارَ لهم، فقد خالف أمر الرسول ﷺ القائل: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً».

وليسَ بِخَافٍ أنّه إذا انْتَصَرَ المسلمُ لأخِيهِ المسلمِ مِن أَلسنةِ مَن يستغيبُهُ أو يطعنُ فيه، كان ذلك سَبَباً كبيراً - زيادةً على قَمْع الشيطان

---

(١) وقد غفل عن هذا التحقيق محققُ «جامع الأصول» (٧٥٥/٢) فرجّح الإرسال!!

وكيده - في صلاحِ نفسهِ وأخيهِ، وفي تَقْليلِ بُذُورِ الشَّرِّ والفساد مِن بين الناس، وفي هٰذا رَفْعٌ للدعوةِ وتعظيمٌ لِشأْنِها.

وهٰذا الَّذِي أسلفتُ التنبيه عليهِ يُشير إلى مسألةٍ مهمّة أيضاً، وهي: بيئة الداعية.

الحديث الرابع والثلاثون:

بيئة الداعية

عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«كان في بَني إسرائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتسْعِينَ إنساناً، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتى راهِباً فَسأَلَهُ، فقال له: أَلِي تَوْبَةٌ؟ قال: لا، فَقَتَلَهُ، فَجعَلَ يَسْأَلُ؟ فقال له رَجُلٌ: إِئْتِ قَرْيَةَ كَذَا وكَذا، فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ، فَنَأَى بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فاختَصَمَت فيه ملائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وملائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَوْحَى اللهُ إلى هٰذه: أَنْ تَقَرَّبِي، وأوحى اللهُ إلى هٰذه: أَنْ تَباعَدي، وقال: قِيسوا ما بَيْنَهما، فَوجَداه إلى هٰذه أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ له».

رواه البخاريُّ (٣٤٧٠) ومُسْلِمٌ (٢٧٦٦).

---

* * * * *

فإصلاحُ الداعيةِ بيئَتَه أَمرٌ مِنَ الأهميَّةِ بمكانٍ رفيعٍ، وبخاصَّةٍ إذا

كان الداعيةُ في أوّل توجُّهِهِ وبدايةِ دعوتِهِ[1]، فإنْ لم يَسْتَطِعْ ذلك وَجَبَ عليه الانتقالُ مِن بيئتهِ التي هي بيئَةُ ضَعْفٍ وشَرٍّ ومعصيةٍ إلى بيئَةٍ يغلبُ عليها الخيرُ والصلاحُ.

والحديثُ المذكورُ هنا دليلٌ قويٌّ على ما ذكرتُ «ففيه إشارةٌ إلى أن التائِبَ ينبغي له مُفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحوّل منها كلِّها، والاشتغال بغيرها»[2].

ومِن الأُمور التي يجبُ معرفتُها: منهج الداعية.

---

(١) انظر الحديث العشرين فيما تقدّم.

(٢) «فتح الباري» (٦/٥١٧ - ٥١٨).

الحديث الخامس والثلاثون:

منهج الداعية

عن أبي الطُّفَيل عامِرِ بنِ واثِلَةَ، قال:

كنتُ عند عليٍّ بنِ أبي طالبٍ، فأتاه رَجُلٌ، فقالَ: ما كانَ النبيُّ ﷺ يُسِرُّ إليكَ؟! قال: فَغَضِبَ وقال: ما كان النبيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئاً يَكْتُمُهُ النَّاسَ، غَيْرَ أنّه حَدَّثَني بكلماتٍ أَرْبَعٍ، قَالَ: فقالَ: ما هُنَّ يا أَميرَ المُؤْمِنين؟ قالَ: قالَ:

«لَعَنَ اللهُ مَن لَعَنَ والِدَهُ، ولَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، ولَعَنَ اللهُ مَنْ آوىٰ مُحْدِثاً، ولَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنارَ الأَرْضِ».

رواه الإمام مُسْلِمٌ في «صحيحهِ» (١٩٧٨).

---

* * * *

فهذا الحديثُ - على قلّة جُمَلِهِ ووجازة عِباراتِهِ - يُبيِّنُ للداعِيةِ أُصولَ منهجِهِ، وقواعدَ دعوته، والحقوقَ التي بُنيَ الدينُ عليها:

فالجملةُ الأُولى تُقرِّرُ حَقَّ النفس.

والجملة الثانيةُ تُقَرِّرُ حقَّ التوحيد.

والجملة الثالثةُ تُقَرِّرُ حقَّ العبادة.

والجملةُ الرابعةُ تُقَرِّرُ حقَّ الغَيْرِ.

فمن حافَظَ على حقِّ نفسِه، وحمى حقَّ توحيد اللهِ، وصانَ حقَّ العبادة، وحَفِظَ حقَّ الغَيْرِ، اكْتَمَلَ منهجُهُ، وَحَسُنَ تطبيقُهُ.

والتذكيرُ بهذه القضايا الكليةِ الأربعةِ، والدعوةُ إليها: ليس بالأمر السهل اليسير كما يتوقّعه أو يظنُّهُ البعضُ، بل هو أمرٌ عَسيرٌ يستغرقُ الجانب الأكبر مِن حياة الداعيةِ وهو - بعد - لم يستطع أن يُؤَدِّيَه بعضَ حقِّه.

فمن أَبْعَدَ عن هذا المنهج الواضح بالدعوة، إلى هذه القضايا المشار إليها، مستبدلاً ذلك بسفاسِفَ من الأُمورِ، وقشورٍ من المسائِلِ، وَجَبَ عليه إعادةُ نَظَرِهِ والتفكيرِ بأمرِهِ.

وهذا يحتاجُ الى معرفةِ: فطنة الداعية.

الحديث السادس والثلاثون:

فطنة الداعية

عن أبي هُريرة قال:
قال رسول الله ﷺ:
«لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِن جُحْرٍ واحدٍ مرَّتَيْن».

رواه البخاري (١٠/٥٢٩) ومسلم (٢٩٩٨).

---

* * * *

فهُو إذا تَلَبَّس بأمرٍ، وَعَلِمَ - على طولِ الدَّهْرِ - عدمَ جدواه، وضآلةَ نَفْعِهِ، فهل يُقيمُ عليهِ ويستمرُّ فيه!؟

إن فَعَل فهو عن الفطنةِ بعيد، وإنْ حَذِرَ، واجتنبَ فهو مِن الإيمانِ والفطنةِ بالمحلِّ الأعلى.

والحديثُ المذكورُ «مَثَلٌ ضَرَبَهُ النبيُّ ﷺ لِبيَان كمال احتراز المؤمن ويقظتهِ، وأنّ المؤمنَ يمنعُهُ إيمانه من اقتراف السيِّئات الَّتي تضرُّه مقارفتُها، وأنّه متى وقع في شيءٍ منها، فإنه في الحال يُبادرُ إلى النَّدمِ

والتوبةِ والإنابةِ، ومِن تمام توبته: أن يَحْذَرَ غايةَ الحَذَر مِن ذلك السبب الذي أوقعه في الذنب، كحال مَن أدخل يَدَهُ في جُحرٍ فَلَدَغَتْهُ حَيَّةٌ، فإنه بعدَ ذلك لا يكادُ يُدخِلُ يَدَهُ في ذلك الجُحْرِ، لِمَا أصابه فيه أوَّل مرّة»[1].

وأمرُ الداعيةِ في هذا، كما قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «السعيدُ مَن وُعِظَ بغيره»[2].

فكيفَ بِمن تَعِظُهُ نفسُهُ ولا يَتَّعِظُ!؟

ومِن الأُمورِ الَّتي تزيدُ في الفِطنةِ: إبتلاءُ الداعية.

---

(١) «بهجة الأبرار» (ص٢٢٧).
(١) رواه عنه مسلم (٢٦٤٥).

الحديث السابع والثلاثون:

ابتلاء الداعية

عن خَبَّاب بن الأَرَتِّ، قال:

شَكَوْنَا إلى رسولِ الله ﷺ وهومُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكعبةِ، قُلنا له: أَلا تَسْتَنْصِرُ؟ أَلاَ تدعو اللهَ لنا؟ قال:

« كان الرَّجُلُ فيمنْ قَبْلَكم يُحْفَرُ له في الأَرْضِ ، فَيُجعَلُ فيه، فَيُجَاءُ بالمِنْشَار، فَيُوضَعُ على رأسِهِ فَيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دينِه، ويُمَشَطُ بأَمشَاطِ الحديد ما دونَ لَحْمِهِ مِن عَظْمٍ أو عَصَبٍ، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دينِهِ، واللهِ لَيُتِمَّنَّ هذا الأَمْر حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لا يخافُ إلاَّ اللهَ، أو الذِّئْبَ على غَنَمِهِ، وَلكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلونَ ».

رواه البُخاريُّ في «صحيحه» (٣٦١٢) و(٣٨٥٢) و(٦٩٤٣).

---

* * *

فَبِهَا يتمحّص القويُّ مِن الضعيفِ، والذكيُّ من البليدِ، كما قال الله سبحانه: ﴿ الٓمٓ . أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ

وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾
(سورة العنكبوت: ١ - ٣).

فالابتلاءُ يَزيدُ الداعيةَ ولا يُنْقِصُهُ، ويُفيده - عند الله - ولا يضُرُّهُ وهو لا بُدَّ منه لِمُحبِّ اللهِ ورسولِه، كما قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ البلايا أسرعُ إلى مَن يُحِبُّني مِن السَّيْل إلى منتهاه»[١].

وهذا الابتلاءُ سُنَّةُ اللهِ سُبحانه في الأنبياءِ والصالحين والدُّعاة على مَرِّ العُصور، وفي الكتابِ الكريم والسُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ القَصَصُ الكثيرةُ المُوضِحَةُ لِذلك، والمُؤكِّدَةُ له

فللثَّبَاتِ على الدعوة، وللصَّبْرِ على الابتلاءِ لا بُدَّ من التَّرْكيز على: الكيفُ لا الكمّ.

---

(١) رواه ابن حبان (رقم ٢٩١١ - ترتيبه) وسنده حسن.

الحديث الثامن والثلاثون:

الكيف لا الكمّ

عن ثَوْبان رضي الله عنه، قال:

قال رسول الله ﷺ:

«يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَـداعَـى عَلَيْكُمْ، كما تـداعَـى الأَكَلَـةُ عـلى قَصْعَتِها».

فقال قائلٌ: ومِن قِلَّةٍ نحنُ يومئذٍ؟ قال:

«بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ! ولكنكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيْلِ، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ من صُدورِ عَدُوِّكم المهابَةَ مِنكم، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ في قلوبكم الوَهنَ».

فقال قائلٌ: يا رسولَ الله! وما الوَهَنُ؟ قال:

«حُبُّ الدُّنيا وكراهيةُ المَوْت».

أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) والروياني في «مسنده» (ق ١٣٤/ب) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي عبد السلام، عنه.

وسنده ضعيفٌ لجهالة أبي عبد السلام، واسمه صالح بن رستم.

لكنّه توبع:

فأخرجه أحمد (٢٧٨/٥) وأبو نعيم (١٨٢/١) والطبراني في «الكبير»

(١٤٥٢) من طريق المبارك بن فضالة، حدثنا مرزوق أبو عبدالله الحِمْصي، أخبرنا أبو أسماء الرَّحَبِي، عنه.

ومرزوقٌ: روى عنه جماعة، ووثقه ابن حبان وقال ابن معين: ليس به بأسٌ.

فمثله حَسَن الحديث.

وقد صرح المبارك بالتحديثِ فأَمِنَّا تدليسَه.

---

* * *

فلو أَنّنا اهْتَمَمْنَا بالكثرةِ والكِمِّيَّة لَكان الغُثَاءُ خيراً مِنَّا، إذِ الكثرةُ دون وَعْيٍ وَفَهْمٍ وَرَوِيـةٍ وَتَرْبيـةٍ: ضَرَرُهـا مؤكَّـدٌ وَخَطَرُهـا يَقينيٌّ، إذ تُوَلِّدُ الغُرُورَ،وعليه: فَعَدَمُ قبولِ الحقِّ، فالاختلافُ.. فالفَشَلُ والهزيمةُ.

ولعلّ هذا ما أشار إليه النبيُّ ﷺ حينما قال: «.. ولا يُغْلَبُ اثنا عشر ألفاً من قِلّة»[١]!! إذاً: هذا العَدَدُ ليس بقليلٍ، بل هو كثيرٌ، فلماذا تُهْزَمُ هذه الكثرةُ؟

إنَّ هزيمتها لأَنَّها لم تهتمَّ بالجانب الأَصيلِ مِن الإسلام وهو توحيدُ الله تبارك وتعالى، ولم تُرَبِّ الدُّعاةَ على معرفةِ الحقوقِ وأداء الواجبات، فضعُفوا، ووهَنوا، فصاروا في ذَيْلِ القافلةِ بعد أن كانوا سادتَها، وصاروا ضِعافاً بعد أن كانوا أقوياء.

فلو أنَّ الداعية تربّى التربية الحَقَّةَ. وسار على نهج النبيِّ ﷺ فإنّه لا شكّ واصِلٌ إلى: الهدف الأسمى.

---

(١) وهو حديث حَسَنٌ، وقد خرّجتُهُ مفصلاً في «جزءِ لُوَيْن» (رقم: ٩)، يسّر الله إتمامه على خير.

الحديث التاسع والثلاثون:

الهدف الاسمى للداعية

عن رجلٍ من أصحاب النبيِّ ﷺ قال:
قال رسولُ اللهِ ﷺ:
«لنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعْذَرُوا مِن أَنْفُسِهِمْ».

رواه أحمد (٥/٢٩٢) وأبو داود (٤٣٤٧) وابن الجعد في «مسنده» (١٣٠) من طرق عن شُعبة عن عَمْرو بن مُرَّة عن أبي البَخْتريِّ قال: أخبرني مَن سَمِعَ النبي ﷺ.

قلتُ: وهذا إسنادٌ صحيحٌ، أبو البختريّ اسمه سعيد بن فيروز، ثقةٌ ثَبْتٌ يُخشىٰ مِن إرساله، وهو هنا مأمونٌ كما هو ظاهرٌ، وليس بِخافٍ أنّ جهالةَ الصحابيِّ أو إبهامَه لا تَضُرٌّ.

وقد أَعَلَّ بعضُهم الحديثَ بما لا يَقْدَحُ[1]، وليس هنا مكانَ تفصيلِ القول فيه، واللهُ المُستعان.

---

(١) قارن «فيض القدير» (٥/٣٠٤) و «تهذيب التهذيب» (٤/٧٢ ٧٣)

* * *

وهذا هو الّذي يُرِيدُه اللهُ مِنّا، أن نَسِير على النهج، فإذا وَصَلْنَا إلى العِزِّ والسُّؤْدُدِ والنَّصْرِ فمن فَضْلِ اللهِ ونعمتِه، وإلاّ فقد قَدَّمْنا العُذْرَ لأَنْفسِنا أَمامَ اللهِ سبحانه، بأنَّنا قُمنا بواجبنا المطلوب مِنّا.

وعليه: فليس مِن الشَّرْطِ على اللهِ عزّ شأْنُهُ أن يُقَدِّمَ لنا نَصْراً على عدونا نُدْرِكُهُ في حياتِنا، لا، بل قد يقوم الواجبُ الذي قَدَّمْناهُ بالتوطئَةِ لِنَصْرٍ وفلاحٍ سَيَأْتي على يَدِ أبنائنا أو من بعدهم.

وفي التاريخِ الإسلاميِّ العَريقِ أكبرُ عِبْرَةٍ.

ومنْهُ قولُ اللهِ سبحانه لِنبيِّه صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾

(سورة الرعد: آية ٤٠).

وهذا دَرْسٌ عظيمٌ لِلدُّعاةِ إلى الله سبحانه وتعالى لِكَيْ يعرفوا ما لهم وما عليهم، فيتربوا إلى رَبِّهم ويرجعوا إلى مِنهاج نبيِّهم صلى الله عليه وسلم، ويقولون بملءِ أفواهِهم: نحن مسلمون وكفى.

الحديث الاربعون:

نحن مسلمون وكفى

عن الحارثِ الأشْعريِّ قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«إنَّ اللهَ تَعالى أَمرَ يَحيى بْنَ زَكَريا عَليْهما السَّلامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، يَعْمَلُ بِهنَّ، وَيأْمُرُ بَني إسْرَائيلَ يَعْمَلونَ بِهنَّ، وَأَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قالَ لَهُ: إنَّ اللهَ (أَمرَكَ) بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، تَعمَلُ بِهنَّ، وَتَأْمُرُ بِهنَّ بَني إسْرَائيلَ يَعْمَلونَ بِهنَّ، فَإمّا أَنْ تَأمُرَهُمْ وَإمّا أَنْ آمُرَهُمْ، قال: إنَّكَ إنْ تَسْبِقَني بِهنَّ خَشِيتُ أَنْ أُعذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بي، قالَ: فَجَمَعَ النَّاسَ في بَيْتِ المَقْدِس، حَتّىٰ امْتَلأَ، وَقَعَدَ النّاسُ عَلى الشُّرُفاتِ، قالَ: فَوعَظَهُمْ. قالَ: إنَّ اللهَ أَمرَني بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَعْمَلُ بِهنَّ، وآمُرُكُمْ أَنْ تَعْملوا بِهنَّ، أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدوا اللهَ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ باللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشتَرى عَبْداً مِنْ خالِصِ مالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، قالَ: هذهِ داري، وهذا عَملي، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إليَّ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤدّي إلى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُم يَسُرُّهُ أَنْ يكونَ عَبْدُهُ كَذلِكَ؟ فَإنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرزَقَكُمْ، فَلا تُشْرِكُوا بِهِ شيْئاً، وَآمُرُكُمْ بالصَّلاَةِ، فَإذَا صَلَّيْتُمْ فَلاَ تَلْتَفِتُوا، وآمُرُكُمْ بالصِّيامِ، وأَنَّ مَثَلَ ذَلِكَ

كَمَثَلِ رَجُلٍ كانتْ مَعَهُ صُرَّةٌ فيها مِسْكٌ، وَمَعَهُ عِصَابَةٌ، كلُّهُمْ يُعْجِبُهُمْ أَنْ يَجِدَ رِيحَها، فَإِنَّ الصّائِمَ عِنْدَ اللهِ، يعْني أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، وَآمُرُكُمْ بالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، وَقَامُوا إِلَيْهِ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلى عُنُقِهِ، فقالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْدي نَفْسِي مِنكُمْ؟ قالَ: فَجَعَلَ يُعْطِيهِمُ القَليلَ والكَثيرَ لِيَفُكَّ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ كَثيراً، وأَنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العَدُوُّ سِرَاعاً في أَثَرِهِ، حَتّى أَتى عَلى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فيهِ، كَذَلِكَ العَبْدُ لا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«وَأَنا آمُرُكُمْ بِخَمسٍ أَمَرَني اللهُ بِهِنَّ: الجَماعَةِ، والسَّمْعِ، وَالطّاعَةِ، وَالهِجْرَةِ، والجِهَادِ في سبيلِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ فارَقَ الجَماعَةَ قَيْدَ شِبْرٍ خَلَعَ، يَعْني رِبْقَةَ الأَسْلامِ مِنْ رَأْسِهِ، إلاّ أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثا جهَنَّمَ».

قِيلَ: وَإِنْ صَامَ وَصَلّى؟ قالَ:

«وَإِنْ صَامَ وَصَلّى، فَادْعوا بِدَعْوى الله الّذي سَمّى اللهُ بِهِ: المُسْلِمينَ، المُؤمِنِينَ، عِبادَ اللهِ».

رواه الطيالسي (١١٦١) و(١١٦٢) وأحمد (١٣٠/٤، ٢٠٢، ٣٤٤) والترمذي (٢٨٦٣) و(٢٨٦٤) وابن خزيمة (١٨٩٥) وأبو يعلى في «مسنده» (١٥٧١) وفي «المفاريد» (رقم: ٨٣) والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الاشراف» (٣/٣) وابن عساكر في «الأربعين الجهادية» (رقم: ٦) من طريقين عن زيد بن سَلّام عن أبي سَلّام عنه. وسندُه صحيح.

وهذا الحديثُ «جامعٌ لفنونٍ مِن العلمِ »[1]، وأهمُ ما نُرِيدُ التنبيهَ عليه هُنا هو خاتِمَتُهُ: «فادْعوا بِدَعْوَى اللهِ الذي سمّى اللهُ بِه: المسلمينَ المؤمنينَ، عبادَ اللهِ».

وقد نقل شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة[2] عن بعْضِ السَّلَفِ قوله: «ما أُبالي أيَّ النعمتين أعظم؟ على أنْ هداني اللهُ للإسلام أو جنَّبَني هذه الأهواءَ، واللهُ تعالى قد سمّانا في القرآنِ المسلمين المؤمنين عبادَ الله، فلا نعدلُ عن الأسماءِ الّتي سمّانا اللهُ بها إلى أسماءٍ أحدثها قومٌ، وسمَّوْها هم وآباؤهُم ما أنزلَ الله بها مِنْ سُلْطَان».

فإذا عرفنا هذا وَوَعَتْهُ عقُولنا، رجع إسلامنا الى نصاعتِهِ السَّلَفِيَّةِ الأُولى، وَغَدَتِ الدعوةُ إلى الله سبحانه وسيلةً ساميةً لا هدفاً.

أَجَل فالدعوةُ وسيلةٌ لِعِبدة الله سبحانه وتوحيده، كما قالَ عزّ شأْنُهُ:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(سورة الذاريات: آية ٥٦).

وهذه قَضيَّةٌ مهمّةٌ في طريق السالك إلى الله سبحانه، تختلط على الكثير مِمَّنْ لم يَتَلَقَّ العلم ويتحصَّل عليه من مَنَابِعِهِ الأصيلةِ، فتنقلبُ عنده الأمورُ، فَتُصْبِح الوسائلُ غاياتٍ والغاياتُ وسائلَ!

فلا قُوَّة إلا بالله.

---

(١) «الاستيعاب» (٢/٢٢٧) لابن عبد البرّ.

(٢) «الوصية الكبرى» (ص٧٦ - بتحقيقي) نشر دار عمّار - عمّان.

الخاتمة

رزقنا الله حسنها

إن الدعوةَ إلى اللهِ سُبحانه شَرَفٌ عظيمٌ لا يُنالُ بالدَّعَةِ والرَّاحةِ والخُلودِ إلى الرَّخاءِ!! لكنّه يُنال بالعِلْمِ النافعِ وَالعَمَلِ الصالحِ، والاتِّباعِ الدَّقيق، والوَعْيِ العَميقِ، هٰذا كُلُّه محوطٌ بِرِقّةٍ في الأسلوبِ، ولينٍ في الوَعْظِ.

وما كتبتُهُ فيما مضى: نُقْطَةٌ في بحْر، وَغَرفةٌ مِن يَمٍّ، وليسَ إلاَّ ذِكرىٰ لِنَفْسي أوّلاً، ولإخْواني ثانياً، وللأُمَّةِ كلِّها ثالثاً.

فإنْ أصبتُ: فَمِنَ اللهِ وحدَه، وإنْ زَلَلْتُ: فمن نفسي ومن الشيطان؛ وأستغفر اللهَ أولاً وآخِراً، وظاهِراً وباطِناً، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين.

فهرس الأحاديث النبويّة هجائياً

طرف الحديث	رقمه
اتّق المحارم تكن أعبد الناس	١٣
إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب	٢
إذا وسّد الأمر إلى غير أهله	١٥
اصبروا، لا يأتي عليكم زمان	٢٩
اغتنم خمساً قبل خمس	٣٠
أنا والذين معي ثم الذين	٨
إنّ الإسلام بدأ غريباً	١٠
إنّ البلايا أسرع إلى مَن يُحبني	٣٧
إنّك تقدم على قوم مِن أهل الكتاب	١١
إنّ الله تعالى أمر يحيى بخمس كلمات	٤٠
إنّما الأعمال بالنيات	١
إنما الناس كالإبل المئة	١٦
إنّ مِن عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء	١٨
إياكم وأبواب السلطان	٣١
بَشّروا ولا تُنفّروا	١٤
بُعثت أنا والساعة كهاتين	١٢
تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين	٤
تلزم جماعة المسلمين وإمامهم	٥
ثلاث مهلكات وثلاث منجيات	٢٣
حقّ المسلم على المسلم ست	١٩
الدين النصيحة	١٧

الفهرس الإجمالي